السنة العاشرة العدد ٨ ١٥ نيسان سنة ١٩٠٧

المشرق

العاديّات البابليّة والاسفار المقدسيّة

للاديب يوسف اوفرد احد اعضاء الجمعيَّة الكتابيَّة الاثريَّة

تحقَّق القرَّاء من مقالاتنا السابقة ما افادت الاكتشافات الاثريَّة الحديثة لتأييد الكتب المنزلة وايضاح بعض مبهماتها . وقد بلغنا انَّ الشرقيين يرتاحون لمثل هذه الابحاث فجئناهم بأدلَّة جديدة على ما تحرَّينا بيانهُ . وهذه المرَّة نبني قولنا خصوصاً على الدستور الشرعي الجليل الذي توفَّق المسيو دي مرغان الى اكتشافه في شوشن اعني شريعة حمُّورَبي المعروف في التوراة (تك ١٤ : ١) بأمرافل . ونقسم نبذتنا قسمين نبيّن في اوَّلهما ما يوجد من التوافق بين البابليين وبني اسرائيل بخصوص الخواطر الدينيَّة وفي الثاني توافقهما في السُّنن والامور الاجتماعيَّة وذلك منذ عهد حمورَبي اعني نحو ٢٠٠٠ سنة قبل المسيح وهو دليل لامع على انَّ ابراهيم الخليل جدَّ الاسرائيليين شعب الله كان اصلهُ من بلاد الكلدان خرج من اور الى حرَّان ثمَّ الى فلسطين كما روت الاسفار المقدَّسة

موافقة الاسفار المقدَّسة للعاديَّات الاشوريَّة في الدينيَّات

لا ننكر انَّ الله ظهر لابراهيم الخليل ومن بعدهِ لاسحاق ابنهِ وليعقوب حفيدهِ ولموسى كليمهِ واوحى اليهم بحقائق دينيَّة جليلة اوضح واصدق ممَّا كان شائعاً من ذلك بين الاشوريين المتعبّدين للاوثان والساجدين للطواغيت لكن اهل بابل واشور كانوا حفظوا اكثر من غيرهم بقايا الدين الاصليّ الذي كان اورثهُ نوح لاولاده فلا غرو انَّ ابراهيم عند خروجهِ من بلاد الكلدان استفاد ايضاً من هذه المعلومات وافاد بها نسلهُ من بعدهِ . ومن نظر مليّاً في الآثار البابليَّة وعرضها على بعض اقوال التوراة اخذهُ العجب من التوافق بينهما

فمن ذلك اسماء متعددة دالّة على اللاهوت اتخذها البابليون لأعلامهم وتجد شبهها في الكتب الكريمة الّا انها في الاسفار المقدّسة مجرّدة عن آثار الوثنيّة مخصّصة بالاله الحقّ . فمن هذه الأعلام اسم « بعلنوري » اي البعل هو نوري و « بعلدوزي » اي البعل هو حصني و « بعلمور » اي البعل الذي أعانهُ . فمثل هذه المعاني ما يُرى في الاسفار المقدَّسة بتغيير لفظة البعل . قال في المزامير (٢٦ : ١) : « الربّ نوري . . . الربُّ حصنُ حياتي » . وقال ارميا (٢٦ : ١٩) : « ايها الرب عزّي وحصني » . وقال أيوب (١٩ : ٢٦) « الله الذي اعانهُ » . ومثلهُ تسمية الاشوريين للبعل « شادي ربو » اي « الجبل الحصين » وقد دعا الاسرائيليُّون الرب « ايل شدّاي » اي الالـه الصخرة يريدون بذلك عزّهُ وجلالهُ . وورد اسم « سورئيل » واسم « صوري عدنا » بين اعلام العرب في الجاهليّة وكلاهما بالمعنى السابق اي الله صخرتي . ويظهر هذا في الاعلام المركّبة من لفظة العبد ويُضاف اليها اسم الصنم كعبد نبو وعبد ملوك وغيرهما . فهذه الاسماء في العبرانيّة تضاف الى احد اسماء الاله الحقيقي كعبديا وعبديل

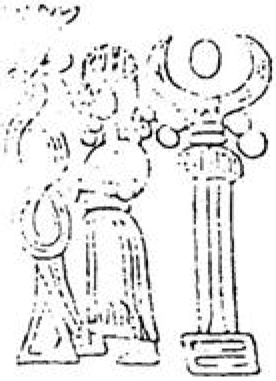
ومن اعلام البابليين ما يشير الى اعتقادهم بالاله الاعظم او باله السماء كالأعلام التي اوّلها اسم « إيلو » وهو الاسم الكريم منها « ايلو رأمني » اي الله رحمني و « إيلو نصير » اي الله نصيري واسماء بمعناهما « كايلو رب اربا » و « إيلو ارس » و « إيلو تانيد » وقد سُمّي بعضهم « ايليو » اي إلهي موجود ومثلهُ اسم بعض العبرانيين « اليهو » (١ كتاب اخبار الأيام ٢٦ : ٧) . وفي كتابة حموربي دعا الله « بعل السماء » كما دعا ابراهيم (تك ٢٤ : ٣) ربّهُ باله السماء . (יהוה אלהי השמים) . وقد شاع مثـل هذه الاسماء بين الشعوب الساميّة كالفينيقيين والعرب وهي تدلّ على صفات الاله العظيم

وقد افتتح حمّوربي كتابهُ بذكر اسم معبوده مع نعته بالاله الاعلى فدعاهُ « ايلو سيرو » . وهذه الصفة قد وردت في الكتاب المقدَّس على صورة « ايل عليون » אל עליון في سفر التكوين (١٤ : ١٨) وفي النص العبرانيّ لابن سيراخ المكتشف حديثاً (٤٧ : ٥)

وممّا يرويه الكتاب الكريم من تحنُّف بني اسرائيل وجنوحهم الى عبادة آلهة الامم ما اخبر به صاحب السفر الرابع من اسفار الملوك (١٨ : ٤) انَّ بني اسرائيل كانوا يقترون لحيّة النحاس التي كان اقامها موسى وانّهم كانوا يدعونها نحشتان (נחשתן) . ولا غرو انَّ الاسرائيليين لم يكونوا ليقدموا على مثل هذه العبادة لو لم يجدوا في الشعوب المجاورة

لهم كالفينيقيين والحثيين ما يحملهم على ذلك . وها قد جاءت الآثار مثبتة لهذا الامر كاشفة للنقاب عن عبادة الحيات بين أولئك الشعوب

ففي سنة ١٨٩٨ نشر الدكتور ورد (Dr Hayes Ward) رسم خاتم حثي يمثل كاهناً او عابداً يقدم التقادم لحية (١ ملتفة حول عصاة او جزة من حديد غرزت في الارض (انظر صورتها في الشكل ١) . وفي هذا الاثر عينه ترى صورة اخرى بقرب الحية اي تمثال عشتروت . وفي ذلك دليل على ان رمز الحية كان منوطاً بعبادة عشتروت الإلهة السامية ذات الفواحش والارجاس التي تعبد لها العبرانيون مراراً فاثاروا غضب الله عليهم . ومن ثم ترى ان الملك حزقيا أحسن لما كسر صورة الحية النحاسية التي كان موسى اقامها في البرية بامر الرب لا ليجعلها كصنم يُعبد بل لتكون فقط كصورة رمزية تشير الى المسيح المصلوب الذي سحق بموته رأس الحية الجهنمية



الشكل ١

وفي معرض المستشرقين المنعقد في باريس سنة ١٨٩٧ شرح المسيو « برجه » العلامة الفرنسوي كتابة فينيقية وجدها على نُصب من حجر وفوق الكتابة تصاوير تُرى في وسطها حيتان مــا يدل على تعبُّد الفينيقيين للحية (٢ . وهذا الاثر اليوم مصون في متحف اللوفر (اطلب الشكل ٢ ص ٣٤٠)

ومن المعروف ان اليونان كانوا اتخذوا كرمز لعطارد عصاة حولها حيتان ويدعون هذا الرمز كادوسة (Caducée) . ولا نتعرض هنا لبيان العلاقــة بين هذا الرمز وبين عبادة الحيات في العهــد القديم وفي ما قلنا كفاية لتزكية الملك حزقيا في كسره للحية النحاسية ليستأصل بذلك كل عبادة باطلة من بني اسرائيل كما امر سبحانهُ وتعالى

١) نحن في ريب عن هوية هذه الصورة أهي حقيقة حية ام لا. فانَّ رأس الحيوان المصوَّر اشبه برأس ايل (المشرق)

٢) لا يُنكر تعبُّد الفينيقيين للحية بيد أنَّ وجودها في هذه الصورة ليس بكافٍ للدلالة على ذلك لأنَّ الحية كثيراً ما يُراد بها علامة رمزية دينية (المشرق)

٢ الآثار الاشوريَّة وعلاقتها مع نواميس موسى

فان انتقلنا الآن الى العادات والاحكام الشرعيَّة التي اشار اليها الكتاب المقدَّس وجدنا ايضاً اموراً متعددة تدلُّ على توافق احوال ابراهيم ونسلهِ مع سنن قدماء الكلدان التي دوَّنها حمورابي في دستورهِ المكتشف حديثاً وفي هذا التوافق دليل واضح على انَّ مؤلّف سفر التكوين كان قريباً من عصر اولئك الآباء حيث لم تجرِ بعد بينهم سنَّة مكتوبة بل كانوا يسيرون غالباً على مقتضى سُنن الكلدان التي ألِفوها قبل انتقالهم الى بلاد فلسطين

فمن ذلك ما اخبرهُ صاحب سفر التكوين في الفصل السادس عشر عن سارة زوجة ابراهيم الخليل انَّها لمَّا رأت انَّ الله لم يرزقها ولدًا ادخلت ابراهيم على أمتها هاجر ليُبنى منها بيتُها فولدت اسماعيل · وكذا فعلت راحيل (تك ف ٣٠) مع يعقوب لمَّا دعتهُ الى بلهة أمتها فولدت لهُ دانًا ونفتالي · ومثلها فعلت لِيئة فأولدت من أمتها زلفة جادًا وأشير · وهذه العادة لم نعد نرى لها ذكرًا في اخبار بني اسرائيل وناهيك بذلك دليلًا على انَّ ابراهيم وبنيهِ اتخذوها من شرائع الكلدان لانَّ ابراهيم كان اقترن بسارة في اور الكلدانيين · وكذا راحيل ولِيئة كانتا من حرَّان وهي اذ ذاك تحت حكم البابليين خاضعة لسننهم



الشكل ٢

امَّا كون هذه العادة كانت مطابقةً لاحكام الكلدان القدماء فذلك ما استنتجهُ

الاثري الشهير بنشس (Mr Th. Pinches L. L. D.) من عدة آثار بابليَّة نشرها وفيها وصف العيشة الاهليَّة والمعاملات البيتيَّة واحوال الاحرار والعبيد في بلاد اشور فقرَّر انَّ فعل قرائن ابراهيم ويعقوب كان حسب العادات المرعيَّة في ذلك الزمان . ثمَّ ظهر بعد ذلك اثر حمورابي فاذا الامر فيهِ قد لاح باجلى بيان . وفي ذلك بندان من دستوره هما البند ١٤٤ والبند ١٤٦

(البند ١٤٤) اذا تزوَّج رجلٌ امرأةً وأعطت المرأة زوجها جاريةً اولدت لـهُ اولادًا فلا يتخذنَّ سريَّة

(البند ١٤٦). اذا تزوَّج رجلٌ امرأة وأعطت المرأة زوجها جاريةً اولدت لـهُ اولادًا ثمَّ ارادت تلك الجارية ان تجعل نفسها في منزلة مولاتها لأنها رُزقت اولادًا فمولاتها لا تبيعها بالفضَّة بل تَسِمها بسمةٍ وتعدّها من الاماء (١

فترى من هذا النصّ معنى قول سفر التكوين (١٦ : ٣) « انَّ سارة اعطت هاجر لأبرام رجلها لتكون لهُ زوجةً » وقولهِ عن هاجر (١٦ : ٤) : « فلمَّا رأت انها قد حملت هانت مولاتها في عينيها » فكأنَّ هاتين الآيتين منقولتان عن سُنَّة حمورابي بالحرف . ويؤخذ ايضًا منها لايّ سببٍ كانت امرأة الرجل هي التي تختار احدى امائها كسريَّة لزوجها حتى اذا ولدت الأَمة تكون شاكرةً لسيّدتها خاضعةً لها لا تطلب ان تُنزَّل بمنزلة المولاة . وكانت الزوجة لا تختار الَّا امةً ليّنة الجانب خُضَعة مطواعًا لاوامرها . امَّا اذا كانت الأمة بعدئذٍ تزهو وتشمخ بانفها فكانت لسيّدتها وفقًا للسنَّة البابليَّة وسيلةٌ لتكسر زهوها وتحفظها في جملة امائها وكذا فعلت سارة التي « اذلَّت هاجر » كما روى الكتاب (تك ١٦ : ٦) ولذلك « هربت من وجه سيّدتها » لكنَّ الملاك اعادها الى بيت ابراهيم وبقيت هناك بصفة أمة لسارة حتى استوجبت ثانيةً ان تُطرد وولدها الى البرّيَّة كما ذكر الكتاب (تك ٢١ : ٩) (٢

---

١) تجد ترجمة هذين البندين في السنة الثالثة عشرة من الهلال (ص ٣٠٩) لكنَّ المعرّب لم يُحسن تعريبهما والصواب كما نروي هنا

٢) في شريعة حمورابي تُقسم النساء البالغات سنّ الزواج اربعة اقسام المرأة الحرَّة (حرتو) ثمَّ المرأة المتبتّلة وهي المختصَّة بخدمة الآلهة كما كانت المتبتّلات الرومانيات المعروفة بالفستال وكنَّ ينقطعنَ عن الزواج الى ان يتجاوزنَ السنّ اللائق بالتوليد . ثمَّ الأمة او السريَّة التي كانت تختار الزوجة لرجلها . ثمَّ السريَّة التي كان يتخذها الرجل لنفسهِ

فممّا سبق ترى بطلان مزاعم الملحدين الذين يرتأون بانّ اسفار العهد العتيق جُمعت بعد موسى وهارون في زمن كانت أُمّة الاسرائيليين جاريةً على سنن مُستحدثة لا تُشعر بشيء من سُنن بابل واشور القديمة. فليت شعري كيف امكن اولئك الجامعين للاسفار المقدّسة ان يودعوا تلك الاسفار اموراً ما كانت لتخطر على بال احد بعد مئين من السنين. فلا بُدَّ اذن من ان يُقال ان كاتب هذه الاسفار انما دوَّنها لقرب وقوعها من زمانهِ وليدلّ بذلك على انّها مبنيّة على شريعة غير الشريعة المعطاة لموسى اعني الشريعة البابليّة. وناهيك بهِ حجّة على صحّة هذه الاسفار وقدمها

وفي اثر حموربي غير ذلك من المشابهات المؤيدة لقدم الكتب المنزلة. ففي سفر التكوين (٤٩ : ١٠) نبوءة جليلة ليعقوب يقول فيها لابنهِ يهوذا: «لا يزال صولجان من يهوذا ومشترع من صُلبهِ حتى يأتي شيلو». فالصولجان هنا رمز عن السلطة والملك. وقد اثبت ذلك اثر حموربي فانَّ في اعلى النُصب الذي اكتشفهُ المسيو مورغان فوق الكتابة المتضمّنة لبنود الشريعة صورةَ اله الشمس وفي يدهِ صولجان الملك والعدل الذي يشير اليهِ صاحب المزامير (٤٤ : ٦). وقد ختم حموربي بنود شريعتهِ بخاتمة يدعو فيها نفسهُ «الراعي الذي يمنح السلام والذي صولجانهُ هو العدل الناشر الخير بدلاً من الشرّ في المدينة» ففي هذا الرمز وفي هذا القول أحسن تفسير لآية يعقوب. لا سيما ان لفظة «صولجان» هي في اللغة البابليّة «سِبطو» كلفظة سفر التكوين שבט (شبط)

ونستغنم هذه الفرصة لنزيد ملحوظاً جديداً على ما سبق لنا قولهُ (المشرق ٩ : ٧٥٤) في آية حبقوق عن شبكة الكلدانيين. فانّ العلّامة بنشس قد نقل في مجلّة الآثار الكتابيّة (Proceedings of the Soc. of Bibl. Archæology. 1906, p. 292) نشيداً لاكرام نيريغ اله الحرب عند الاشوريين فممّا يقال في مديح الاله انهُ «هو المصوّب قوسهُ كسلاح حرب وناشر شبكة قتالهِ» ففي ذكر الشبكة تأييد جديد لقول النبي حبقوق المارّ ذكرهُ

اول متحفة للهوام والحشرات إنشاؤها عربي

لحضرة مكاتبنا الفاضل الاب انستاس الكرملي البغدادي

كثيرًا ما يتصوَّر ابن آدم من ابناء هذا العصر ان المحدثين قد احدثوا امورًا لم تعنَّ على خاطر من تقدَّمهم ولم تدُر في خلدهم . وانما توصلوا الى ما توصلوا اليهِ بكثرة الجدّ والجهد . واغلب ملام كلامهِ هذا يوجههُ الى العرب وابنائهم ويعنّفهم على كونهم اهملوا امورًا جمَّة كانوا انتفعوا منها اجزل النفع لو اتوها . ومن ذلك دُورُ التُحَف

فقبل ان نتصدَّى لهذا البحث لا بُدَّ لنا من ان نذكر بعض كُلَيمات تكون بمنزلة المقدمة فنقول :

ليس للعرب لفظة تدلُّ على ما يُراد بلفظة «موسيون او موزة» عند محدثي الافرنج الذين يَعنُون بهِ : « مجموعاً عظيماً جامعاً لانواع النوادر والغرائب والطُرَف الراجعة الى الصنائع والعلوم والفنون والمِهَن » والسبب ان هذا اللفظ بهذا المعنى حديث الوضع في بلاد الافرنج فلا غرو اذا كان مجهولًا عند العرب . والَّا فاذا اخذنا لفظة موسيون بالمعنى الذي اخذهُ قدماء اليونان فان العرب قد عرفوهُ شيئاً من المعرفة . « فالموسّيون عندهم او الموسيوم على الطريقة الرومانية او الموسة والموزة على الطريقة الفرنسية » لايدلّ فقط على الهيكل المرصد لآلهة الشعر والغناء المسمَّاة عندهم « مُوسة » او « موسيون » كموسيون آثيناس وثسپياس بل يدل ايضاً على كل بناء يُعنى فيهِ بالآداب اللغويَّة والعلوم والفنونِ تحت انظار آلهة الشعر والغناء . مثال ذلك موسّيون الأسكندريَّة وهو اشهر هذا النوع في العالم . وكان اول من انشأهُ بطلماوس سوطير اي المخلص فانهُ اقام مدرسةً للفلسفة والعلوم والفنون والآداب في مدينة الاسكندريَّة سنة ٢٢٨ قبل المسيح وفعل مثل هذا الفعل في قصرهِ الذي كان يحتشد فيهِ اعضاء هذا المجمع العلمي فبهذا المعنى قد اقام العرب الاسواق وكان يجري فيها ما كان يجري في الموسيون . والاسواق عندهم كثيرة اشهر سوق عكاظ (اطلب المشرق ١ : ٨٦٥)

اما الافرنج فالفرنساويون منهم خصوا لفظة موزة (Musée) بما يتعلّق بالعلوم والفنون . ولفظة موزيوم (Museum) بما يتعلّق بالمخلوقات الطبيعية من المواليد الثلاثة

اما العرب وابناؤهم من المتأخرين لمَّا ظنُّوا ان الاقدمين منهم لم يعرفوا شيئاً ممَّا

احدثهُ الافرنج في هذه القرون المتأخرة جزموا ان الاولين منهم لم يستطيعوا ان يجعلوا الفاظًا لشيء مجهول فاصطلحوا لهذه الغاية على الفاظ تؤدي هذا المؤدَّى نفسهُ

فمنهم من سمَّاهُ « مَتحفًا » بفتح الميم وهو غلط لان اسم المكان اذا بُني من الرباعي يُضمّ اولهُ إذ لا يوجد فعل تحفَ بل أتحف . فكان يجب اذن ان يقولوا « مُتحَفًا » بضم الميم لا بفتحها . ومع ذلك فالمعنى واقف راكد لا يجري ماء معناهُ ولا يتسلسل تسلسل اللفظة الافرنجيَّة لان معنى اتحفَهُ اطرفَهُ بطُرفة وعليهِ فيكون المعنى « المكان الذي يُتحف لهُ او يُتحف فيه » وفيهِ من التكلّف والتعسّف ما فيهِ . والبعض قالوا : « دار تُحَف » وهو اوفى بالمقصود وادلّ على المعنى واصوبُ للاصطلاح من جهة اللغة وقواعدها . الَّا ان غاية الذين يقولون « متحفًا » هربهم من لفظتين والحق بيدهم . فاذا كانت هذه هي نيتهم فالاجدر بهم ان يتخذوا لفظة أخرى هي « المتحَفة » لان صيغة المفعلة تدل على المكان الذي يكثر فيهِ الشيء . فيقال : المبطخة والمأسدة والمسبعة الخ ومن ثمَّ فيقال المتحفة للمكان الذي يكثر ويجمع فيهِ التحف والطُرَف والنوادر والغرائب . فاحفظهُ

اما ان المحدثين من العرب يتصوَّرون ان الاقدمين منهم لم يعرفوا شيئًا من هذا القبيل فهم يهيمون في وادي تضلُّل . بل من المؤكد المثبت الذي يؤيّدهُ شواهد التاريخ ان اول من انشأ هذا النوع من المتاحف عربيٌ قحٌ . وذلك في القرن العاشر او اواخر القرن التاسع للمسيح مع ان هذا النوع من انواع المتاحف الحيوانيَّة والنباتيَّة والحشريَّة لم يُعرف في بلاد الافرنج قبل ثلاثة قرون . فليفتخر اذن العرب لكونهم سبقوا الافرنج في هذا الميدان كما سبقوهم في امور أخرى لا محل لذكرها هنا . وعليهِ فنقول :

اول دار تُحفٍ للحشرات والدويبات في العالم

ان اوَّل دار تحف أنشئت للهوامّ والحشرات ونحوها في العالم العلميّ هي التي انشأها واحد من ابناء العرب اسمهُ « ابو الفضل جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد ابن موسى بن الحسن بن الفرات المشهور بابن حنزابة الوزير المحدّث البغدادي نزيل مصر » . وهو الذي وزّر ابوهُ للمقتدر في السنة التي قُتل فيها وتقلّد ابو الفضل وزارة كافور الاخشيدي بمصر المتوفَّى سنة ٩٦٦ م . قال الشريف محمَّد بن اسعد الحراني المعروف بالنحوي : « كان الوزير يهوى النظر الى الحشرات من الافاعي والحيَّات والعقارب

وام اربع واربعين وما شاكل ذلك · وكان في داره التي تقابل دار السكّاكي قاعة لطيفة مرخّمة فيها تلك الحيات · ولها قيم وفرّاش وحاوٍ يستخدمونها برسم نقل تلك الحيّات وحطّها · وكان كل حاوٍ بمصر يصيد ما يقدر عليه من الحيّات ويتباهون في ذوات العجيب من اجناسها وفي الكبار وفي الغريب منها وكان يثيبهم على ذلك اجلّ الثواب ويبذل لهم الجزيل حتى يجتهدوا في تحصيلها · وكان لهُ وقت يجلس فيهِ على دكّة مرتفعة ويدخل المستخدمون والحواة فيخرجون ما في تلك السلال ويطرحونهُ على ذلك الرخام ويحرّشون بين الهوام وهو يستعجب من ذلك ويستحسنهُ · فلمّا كان ذات يوم انفذ خلف ابن المدبّر الكاتب وكان من كتاب ايامهِ ودولتهِ وهو عزيز عندهُ ويسكن جوارهُ يقول لهُ في رقعة انهُ : « لمّا كان البارحة وعرض علينا الحيّات والحشرات الجاري بها العادات انساب منها الحيّة البتراء (١ وذات القرنين الكبرى (٢ والعقربان (٣ الكبير وابو صوفة (٤ وما حصّلناها الّا بعد عناء طويل وبعد مشقّة وجملة بذلناها للحُواة ونحن نأمر الشيخ وفقهُ الله تعالى بالتوقيع الى حاشيتهِ بصون ما وُجد منها الى ان ينفذ الحواة بردّها الى سلالها » · فلمّا وقف ابن المدبر عليها قلب الرقعة وكتب : « اتاني امر سيدنا الوزير ادام الله تعالى نعمتهُ وحرس مدّتهُ بما اشار اليهِ من امر الحشرات والذي أعتمد عليهِ في ذلك ان الطلاق يلزمني ثلاثةً إن آتِ انا وأحد من اولادي في الدار · والسلام »

كان مولد ابي الفضل ابن حنزابة في ذي الحجّة سنة ٣٠٨ هـ — ٩٢٠م وتوفي بمصر في ١٣ صفر وقيل في ربيع الاوّل سنة ٣٩١ هـ · — ١٠٠٠ م ودُفن بالقرافة الصغرى

---

١) الحيّة البتراء او الابتر هي التي يسميها العلماء « elaps »

٢) ذات القَرنين او القَرناء هي الحيّة المعروفة عند العلماء باسم « vipera cerastes »

٣) العُقرُبان هو ذكر العقارب والمراد بهِ هنا « scorpio occitanus »

٤) ابو صوفة نوع من الرتيلاء يكون غالباً في الارياف يضرب لونهُ الى الحمرة لهُ زغبٌ ومنهُ اسمهُ عند اهل مصر ولهُ في رأسهِ اربع إبر ينهش بها ونهشتهُ تقرب من لسع العقرب وهو لا ينسج بل يحفر بيتهُ في الارض ويخرج بالليل كسائر الهوام (عن الجاحظ والقزويني والدميري في مادة عنكبوت ورتيلاء . واللفظة لا توجد في المعاجم اللغويّة) واسمهُ بلغة العلماء (lycosa) ومعناهُ الذئب لشدّة نهمهِ وشرَههِ . وعرّبهُ البعض فسمّوهُ : « ابو ليقة » تعريباً للفظة الافرنجيّة مباشرةً وادّعوا ان اسمهُ عربيّ النِجار وان الافرنج اخذوهُ عن العرب لان « الليقة » : الصوفة صوفة الدَواة نتوهّم الافرنج انهُ من λύκος اي الذئب وتمحّلوا لهُ التفاسير والتأويل

الاسقفيّات المنوطة بكرسي صور

لحضرة الخوري كيرلس شارون الرومي الكاثوليكيّ

٢ جدول اساقفة صيداء

كنيسة صيداء ترتقي كصور وعكّاً الى بدء النصرانيّة . وكان الربّ نفسهُ دخل في تخومها كما ورد في الانجيل الطاهر واصطنع فيها المعجزات . ولا غرو انّ الرسل مرّوا بها وبشّروا فيها بالمسيح . وممّا يروى في الكتاب المعروف باعمال بطرس (Acta Petri) وكذلك في الميامر المنسوبة الى القديس اقليميس تلميذ بطرس (وكلاهما من الكتب المصنوعة لكنّهما قديمان) انّ سمعان الصفا دعا اهل صيداء الى المسيح واقام عليهم اسقفاً من رفقتهِ لمّا خرج منها . ولم يُذكر اسم الاسقف الذي اختارهُ بطرس . امّا الاساقفة الذين عُرفوا باسمائهم فدونك ما علمنا من امورهم

١ (زينوبيوس) كان هذا كاهناً اصلهُ من انطاكية . وكان يتعاطى الطبّ فبرز فيهِ كما افاد اوسابيوس القيصري (١ . قال انهُ استشهد على عهد الامبراطور ديوقاطيانوس في صيداء من اعمال فينيقية . وقد جعلهُ المؤرخ ثاوفانوس (٢ اسقفاً على صيداء ولا نعلم الى اي سند يرجع في قولهِ هذا . وكان استشهاد زينوبيوس نحو سنة ٣١٠ للمسيح

والصحيح ان « ابا ليقة » مأخوذ من الافرنج وان كان المعنى يستقيم مع قولك « ابي صوفة »

وشكل بطن ابي صوفة بَيضيٌّ واعينهُ منتظمة على ثلاثة خطوط مستعرضة يتألف منها شكل مربَّع الاضلاع وبَيضُ الانثى يكون في صُلَّجةٍ (سرنقة) او جَوزة منوطة باستها وتعتني بتربية فراخها وتحملها على ظهرها . وابو صوفة سريع العَدو عظيم النِكاية بالعدوّ وطعامهُ صغار الهوام وهو يتربّص لفريستهِ قرب مسكنهِ فاذا مرّت بهِ او دنَت منهُ هَجَم عليها ولا هجوم النمر او الببر ويخفة لا توصف وهو انواع عددها يتجاوز الثمانين ومنها : ابو صوفة البرّي . والعامل . والرُّتَيلاء الى غير ذلك

١) راجع تاريخهُ الكنسيّ (ك ٨ ع ١٣)

٢) راجع تاريخهُ (الصفحة ٩ من الطبعة الباريسيّة)

٢ (تاودوروس) اسمهُ مدوَّن في جملة الآباء الذين سجّلوا بتوقيعهم اعمال مجمع نيقية المسكوني (١

٣ (امفيون) افاد المؤرخ نيقيتاس كونياتس (٢ ان امفيون اسقف صيداء كان من جملة اشياع اريوس المبتدع مع بولينوس مطران صور (٣ لكنَّهُ لم يعيّن زمانهُ. ولعلَّهُ سبق تاودورس المذكور

٤ (بولس) هو احد الآباء الموقّعين على اعمال المجمع القسطنطيني الأول سنة ٣٨١ (٤

٥ (داميان) وجّه تاودوريطوس اسقف قورش الكاتب الشهير احدى رسالاتهِ وهي التاسعة والاربعون (٥ الى داميان اسقف صيداء وكان هذا احد الآباء الذين حضروا المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١ وأيد اعمالهُ بامضائهِ (٦ . وكان سبق وحضر مجمعاً خاصاً عقدهُ دومنس بطريرك انطاكية سنة ٤٤٨ للحكم في دعوى ايباس الرهاوي (٧

٦ (ميغاس) التأم سنة ٤٥٨ مجمع في صور للنظر في امر بروتيريوس البطريرك الاسكندري الذي قتلهُ الهراطقة فاوفدوا الى الامبراطور لاون كتاباً موقعاً باسماء الحاضرين وكان ميغاس اسقف صيداء احدهم (٨

٧ (اندراوس) وقَّع اندراوس اسقف صيداء الرسالة التي كتبها الاساقفة المجتمعون في صور تحت نظارة رئيس اساقفتها ايفانيوس لمناقضة ساويروس الانطاكيّ الدخيل (٩ وهذه الرسالة تُليت على مسامع الحضور في المجمع القسطنطينيّ على عهد منّاس البطريرك سنة ٥٣٦

---

١) اطلب جدول اسماء الموقعين على اعمال نيقية في مجموع المجامع لماني (Mansi II, 693) وفي جلزر (H. Gelzer: *Nomina Patr. nicæna*)

٢) راجع كتابهُ (Nicetas Choniates: *Thesaurus*, V. 7)

٣) اطلب المشرق (٩ : ٢١١)

٤) اطلب ماني (Mansi, III 568)

٥) اطلب اعمال الآباء اليونان (PP. GG., LXXXIII, 1226)

٦) ماني (Mansi IV, 570)

٧) ماني (Id. VI, 496)

٨) فيه (Id. VII, 557)

٩) فيه (Id. VIII: 1081)

٨ (بولس الراهب) نشر المشرق ثماني مقالات بديعة في المواد الفلسفيَّة واللاهوتيَّة (١ وكان المذكور في اواخر القرن الثالث عشر او اوائل الرابع عشر كما يلوح من بعض ردود الشيخ تقيّ الدين احمد بن عبد الحليم بن تيميَّة المتوفى سنة ٧٢٨ (١٣٢٧م)

ويظهر من بعض الدلائل انَّ كرسيّ صيداء لم يبقَ مستقلًّا بعد بولس الراهب بزمن قريب وان كنَّا لا ندري في اي سنة جرى الامر. كما انَّنا نجهل دوام اتحاد الكرسيين وكيانهم تحت تدبير اسقف واحد

٩ (؟) نشر الكاتبان ميكلوزتش ومولر (٢ اثرًا يونانيًا وردت فيه ماجريات تاريخيَّة وممَّا يروى هناك ذكر مطران لصور وصيداء دبَّر الكرسيّ بين السنتين ١٣٩٠ و ١٣٩٤ لكنَّهُ لم يصرّح باسم المطران المذكور وإنَّما يدعوهُ صاحب الكرسيّ الاوَّل بين مطرانيات انطاكية

١٠ (انستاس) وقيل اثناس. كان بعد السنة ١٥٨٨ بزمن وجيز وكان متوليًا تدبير اربعة كراسي وهي طرابلس وبيروت وصور وصيداء (٣

١١ (اغناطيوس) هو اغناطيوس عطيَّة مطران صيداء انتدبهُ الناس لمَّا حُبس البطريرك اثناسيوس دبَّاس الثالث من اسمهِ ليدبر الكرسي البطريركي وارسلوهُ الى القسطنطينيَّة وارسلوا معهُ كهنة واكابر فشرطنهُ هناك على انطاكية طيموثاوس البطريرك وعاد الى الشام سنة ١٦١٩. ثمَّ أُفرج عن اثناسيوس ورحل الى طرابلس وتوفي هناك وخلفهُ اخوهُ كيرلُس مطران حوران بمساعدة ابن سيفا وجرى نزاع طويل بين البطركين (٤ ثمَّ قُتل كيرلُس فبقي اغناطيوس يدبّر الكرسي وحدهُ الى ان قُتل هو ايضًا على يد بعض المعتدين سنة ١٦٣٣

١٢ (مرقس) اقام اغناطيوس عطيَّة مرقسَ هذا مطرانًا على صيداء ولم

---

١) تجدها في الكتاب الذي وسم بمقالات دينيَّة قديمة لبعض مشاهير الكتبة النصارى من الصفحة ١ الى الصفحة ٥٠. وكذلك لهذا الكاتب رسالة أُخرى نفيسة نشرها حضرة الاب بوقا اليسوعيّ في مجلَّة الشرق المسيحي (ROC, VIII (1903), p. 388 sqq)

٢) اطلب اعمال البطريركيَّة القسطنطينية (Miclosich-Müller: *Acta. Patr. Const.*, n° 476)

٣) راجع المشرق (٨: ١٩٢) في الحاشية ٦

٤) اطلب كتاب حبيب افندي زيَّات «خزائن دمشق وضواحيها» ص ١٠١-١٠٢

تدم مدّتهُ. قال الخوري ميخائيل بريك: وفي سنة ٧١٤١ للعالم (١٦٣٣م): «ركبت العساكر السلطانية في البرّ والبحر لمحاربة ابن معن فذهب اغناطيوس الى صيداء وألبس مرقس مطرانها الاسكيم ثمَّ توفي بحضورهِ فدفنهُ هناك»

١٣ (ارميا) مرَّ ذكرهُ في سلسلة مطارنة صور (المشرق ٩: ٤١٢) وكان يدبّر كرسي صور وصيداء. حضر سنة ١٦٥٩ المجمع الذي عقدهُ مكاريوس الثالث الحلبيّ في دمشق لمحاكمة اسقف حمص ابن عميق (١ وامضى سنة ١٦٧٣ الحكم الذي ابرزهُ الروم في رذل بدعة الكلوينيين عن وجود المسيح في القربان الاقدس (٢

١٤ (اغابيوس) قال المرحوم السيّد غريغوريوس عطا في مختصر تاريخ الروم الملكيين (ص١٨١): «ارتسم على كرسيّ صيداء سنة ١٦٦٠ السيّد اغابيوس الذي حضر المجمع الكاثوليكي الملتئم في طرابلس سنة ١٦٨٠ وكانت وفاتهُ سنة ١٦٨٣». قلنا ولم نجد اسم المذكور في غير هذا المختصر. وعلى كلّ حال لا يمكننا ان نسلّم بقولهِ في سنة ارتقاء اغابيوس الى كرسيّ صيداء. لانَّ ارميا السابق ذكرهُ كان يتولاهُ الى سنة ١٦٧٣ كما مرَّ

١٥ (افتيميوس) رُقي الى كرسيّ صور وصيداء سنة ١٦٨٣ وكان اصلهُ من دمشق ولهُ اعمال جليلة سنعود الى ذكرها ان شاء الله. توفي سنة ١٧٢٣ كما سبق القول (المشرق ٩: ٤١٣)

١٦ (اغناطيوس) كان بيروتيَّ الاصل فترهّب في دير المخلص وارتسم كاهنًا على يد المطران افتيميوس معلّمهُ سنة ١٦٩٦ ثمَّ جعلهُ البطريرك اثناسيوس دبّاس مطرانًا على كرسي صيداء سنة ١٧٢٣ وقد مرَّت اخبارهُ في المشرق (٩: ٤١٣) تنزَّل عن كرسيّهِ وتوفّي في صيداء سنة ١٧٥٨

١٧ (باسيليوس فينان) كان اسمهُ ميخائيل واصلهُ من يافا. قال القس انطون بولاد: انهُ نذر الرهبنة وارتسم كاهنًا من معلّمهِ افتيميوس صيفي سنة ١٧١٧. وارتسم مطرانًا على بانياس سنة ١٧٢٤ ودُعي باسيليوس. وكذا قال الخوري كيرلّس حدّاد. وفي قولها نظر وذلك انَّ البطريرك القسطنطيني كلّينيكوس الثاني في رسالتهِ الى

---

١) اطلب رحلة مكاريوس (The Travels of Macarius, ed. Belfour, II, 476)

٢) اطلب (Perpétuité de la Foi, ed. Migne II, 1244)

روم البطريركيّة الانطاكيّة سنة ١٧٠٠ يذكر باسيليوس فينان كاحد الاساقفة المتعلّقين بالحزب الكاثوليكيّ (١. ولمّا تنزّل اغناطيوس البيروتيّ عن اسقفيّة صيداء نُقل اليها السيّد باسيليوس فينان وبقي يدبّر الكرسي الى سنة وفاته في ١٣ شباط سنة ١٧٥٢

١٨ (باسيليوس جلغاف) كان ايضاً من رهبان دير المخلّص يُدعى انطون نذر الرهبنة سنة ١٧٢٤ وارتسم كاهناً سنة ١٧٢٥ ثمّ عهد اليهِ البطريرك كيرلّس طاناس كرسيّ صيداء سنة ١٧٥٥ ودُعي باسيليوس ثمّ تحوّل الى كرسيّ بيروت سنة ١٧٦٣ وتنزّل عنهُ لاغناتيوس صرّوف سنة ١٧٧٩ كانت وفاته في بيروت سنة ١٧٨٧

١٩ (اثناسيوس جوهر) كان يُدعى اغناطيوس وكان ابن نسيبة البطريرك كيرلّس السادس طاناس نذر الرهبانيّة في دير المخلّص سنة ١٧٥٤. وفي سنة ١٧٥٩ تنازل لهُ البطريرك كيرلّس عن البطريركيّة فدُعي اثناسيوس لكنّ الكرسي الرسولي اجّل انتخابهُ سنة ١٧٦٠ فاقاموا بدلاً منهُ مكسيموس حكيم ثمّ خلفهُ في البطريركيّة السيّد ثاوضوسيوس دهّان سنة ١٧٦١. امّا اثناسيوس جوهر فبعد التبرّم والامتناع خضع للبطريرك وجُعل اسقفاً على صيداء سنة ١٧٦٣ بدلاً من باسيليوس جلغاف المنقول الى كرسيّ بيروت (٢. ثمّ توفّي البطريرك ثاوضوسيوس فوقع الاختيار قانونيًّا على اثناسيوس جوهر في ٢٤ نيسان وعُرف باثناسيوس الخامس (٣ توفّي في رشميًّا سنة ١٧٩٤

٢٠ (اغابيوس مطر) لم يتعيّن اسقف على صيداء من السنة ١٧٨٨ الى ١٧٩٥ والمرجَّح ان مطران صور هو الذي كان يدبّر هذا الكرسيّ. وفي السنة ١٧٩٥ رقّى البطريرك كيرلّس السابع سيّاج الحوري اغابيوس مطر الى اسقفيّة صيداء. وكان اغابيوس دمشقيًّا نذر الرهبنة في دير المخلّص سنة ١٧٦٠. ودبّر الكرسيّ الى ١٣ آب ١٧٦٩ حيث أُقيم بطريركًا وكانت وفاتهُ في ٣١ ك ٢ سنة ١٨١٢ (٤

٢١ (اثناسيوس مطر) فرغ كرسيّ صيداء اربع سنوات ثمّ دُعي الى

---

١) اطلب (Délicanis: *Pièces ecclesiastiques*... p. 169)

٢) اطلب مجلّة اصداء الشرق (Echos d'Orient, V (1902), p. 142)

٣) (Id. p. 146)

٤) (Id. p. 203)

تدبيره اثناسيوس مطر اخو البطريرك وكان هذا نذر الرهبنة في رومية سنة ١٧٧٦ وكان يسمَّى غفريل وارتسم هناك كاهناً ثمَّ جُعل مطرانا على كرسي بصرى في حوران ونُقل الى صيداء سنة ١٨٠٠ ودُعي اثناسيوس · ثم خلف اخاهُ في البطريركيَّة في ١ آب سنة ١٨١٣ وعرف باثناسيوس السادس وتوفي في ٨ تشرين الثاني من السنة (١

٢٢ (باسيليوس خليل) كان اسمهُ الياس واصلهُ من عينتيت دخل في الرهبنة المخلصيَّة ونذر في ٢٩ حزيران سنة ١٧٨٩ في رومية وبها ارتسم كاهناً · وكان ارتقاؤهُ الى اسقفيَّة صيداء في ٢ شباط سنة ١٨٢١ بعد فراغ الكرسي تسع سنوات سقَّفهُ البطريرك اغناطيوس قطان ودعاهُ باسيليوس وتوفي في قرية جون في ٢٠ ايلول سنة ١٨٣٦ كما روى القس انطون بولاد (وفي مختصر تاريخ الروم الملكيين انَّ وفاتهُ كانت في ١ ايلول) ودُفن في دير المخلِّص (٢

٢٣ (ثاوضوسيوس قيومجي) وُلد سنة ١٨١٠ في دمشق وسُمي رافائيل نذر الرهبنة في دير المخلِّص في ١١ آذار سنة ١٨٣٠ وارتسم قساً في ٢٥ ك ١ سنة ١٨٣٤ ثمَّ شرطنهُ اسقفاً على صيداء المطران اغناطيوس قاروط في دير المخلِّص في ٢٣ ك ١ سنة ١٨٣٦ فقضى في تدبير هذا الكرسي ٥١ سنة بكل همَّة وتقى وتوفي في ١٨ تشرين الثاني سنة ١٨٨٦

ولدينا ثلاثة مناشير للطيِّب الذكر مكسيموس مظلوم في انتخاب السيِّد ثاوضوسيوس قيومجي ندوّنها هنا كمثال لهذه الانتخابات بين الروم الكاثوليك الملكيين

١ منشور الانتخابات لابرشيَّة صيداء

الحمد لله دائماً (مكان الختم الكبير)

مكسيموس برحمة الله تعالى البطريرك الانطاكي وسائر المشرق

النعمة الالهيَّة والبركة السماويَّة الحالَّة على الزمرة الابوسطوليَّة القدّيسين الأطهار في الغرفة الصهيونيَّة هي تحلّ مستقرَّة على انفس واجساد ابنائنا الاعزَّاء الاكليروس الموقَّر والارخندس المبجَّل وسائر الشعب المكرَّم الروم الملكيين الكاثوليكيين المؤلفين ابرشيَّة صيدا المحبوبين لدينا بالرب باركهم عزَّ وجلَّ بتزيد بركاته العلوية امين

(١ اصداء الشرق (Echos d'Orient, VI, (1903), p. 17

(٢ (Id. p. 19)

اننا اذ كنّا في اليوم الحادي والعشرين من الشهر المنتهي اصدرنا اليكم ايها الابناء الاعزاء الكرام منشورنا البطريركي الذي به عزّينا خاطركم المكدر من قبل انتقال مطرانكم اخينا وشريكنا في الخدمة كير باسيليوس المرحوم من هذه الحيوة في اليوم المرقوم ثم وعدناكم بأننا غب ايام وجيزة مزمعون ان نصدر منشورنا الحاضر في شأن عمل الانتخاب للمطران الجديد خلفاً للمتنيح فالآن حفظاً للقوانين المقدسة وتتميماً لوعدنا المرقوم وتمهيداً لسرعة سفرنا من هذه البلاد الى الاقليم المصري لاجل افتقاد رعايانا التي هناك اذ ان الفصل الشتوي المناهز دخوله لا يعطينا مهلة اكثر ولا نريد ان نترك هذه الابرشية الجليلة من دون مطران خصوصي في مدة غيابنا فمن ثم بعد التجائنا له مستمدين الهاماته المقدسة بتضرعات حارة رغب المفاوضة مع البعض من حضرة اخوتنا مطارنة كرسينا الموقرين وغيرهم من المتقدمين الاجلاء قد قرّ رأينا اننا نعين لجمهوركم حسب العادة الجارية في طائفتنا ثلاثة اشخاص موضوعاً لهذا الانتخاب المبارك وهم حضرة اولادنا الاعزاء الخوري انطونيوس نصر المدبر الثاني لجمع دير المخلص العام والقس كيرللس فكاك رئيس انطوش دمشق حالاً والقس رافائيل قيومجي الاكرمين

فاذاً نأذنكم جميعاً ونحتم عليكم بان تنتخبوا احد هؤلاء الثلاثة انتخاباً قانونياً بعيداً عن كل شائبة تثلمه وذلك بعد تقديمكم الابتهالات للروح الكلي قدسه لكي ينيركم تعالى ويرشدكم بالهاماته المقدسة على الاعتماد على احد هؤلاء الثلاثة اشخاص بحيث ان تكونوا متجردين من كل ملاحظة ذاتية وغرض خصوصي ومتحدين بروح الحب والاتفاق واضعين بازاء اعينكم مجد الله الاعظم وخير كنيسته المقدسة وافادة انفسكم الروحية ونجاح هذه الابرشية ومتى قرّ رأي الاكثرين من الاكليرس والارخندس على واحد من الثلاثة الكهنة المذكورين وعمل باسمه صك الانتخاب وقدّم لدينا فبعد الفحص وجدناه قانونياً فنأخذ بالمنتخب رضا حضرة اخوتنا مطارنة كرسينا الموقرين وهكذا نرسم المنتخب ونصرفه في الابرشية حسب الرسوم البيعية الطاهرة

ومنشورنا هذا قد سلمناه بيد حضرة ولدنا العزيز الخوري اثيموس مشاقه الرئيس العام الجزيل الاكرام لكي يشهره على جميعكم حالاً وضمن ايام قليلة يباشرون هذا الانتخاب كما سبق الشرح اذ اننا ننتظر يوماً فيوماً نجاز هذا العمل المقدس بنوع انه اذا لا سمح الله حصل انقسام فيما بينكم ومرت عدة عشرة ايام فقط على الكثير ولم يصلنا صك الانتخاب المطلوب فحينئذٍ نلتزم بان نواسط سلطتنا البطريركية وبمشورة حضرة اخوتنا المطارنة المحترمين وبرأي اكثرهم نختار نحن من يلهمنا الله اليه من هؤلاء الثلاثة ونرسمه مطراناً قانونياً شرعياً عليكم من دون توقف اكثر من حيث ان الضرورة الحاضرة محوجة الى ذلك ونحن نسأل الجود الالهي ان يرشدكم بانواره المقدسة الى اتمام هذا الصنيع المهم بما يرضيه عزّ وجلّ وان يبارك على انفسكم واجسادكم وان يبعد عنكم كل ما يمكن ان يسبب لكم البلبلة والانقسام وان يعزينا واياكم بالتهلية الصالحة المقصودة بهذا العمل القانوني وبكل حبّ ابوي نمنحكم بركتنا الرسولية ثانياً وثالثاً

أُعطي من الديوان البطريركي في مدينة بيروت في اليوم الثامن من تشرين الاوّل سنة ١٨٣٦

٢ انتخاب القس روفائيل قيومجي لاسقفيَّة صيدا٠

(المقدَّمات كما في المنشور السابق)

انهُ لقد صار معلومكم ايها الابناء الاعزاء المحبوبون منا بالرب كيف اننا عب ان اصدرنا لجمهوركم المعتبر لدينا منشورًا بطريركيًّا في اليوم الثاني من الشهر الحاضر بهِ اذنَّا كم جميعًا بعمل الانتخاب القانوني للمطران الجديد الذي يقوم خليفة لراعيكم المتوفى كير باسيليوس المرحوم واذ أشهر منشورنا المرقـوم في صيدا ودير القمر وباقي خورنيات الابرشيَّة وفُهم من الجميع اننا عيَّنَّا موضوعًا لهذا الانتخاب ثلاثـة اشخاص وهم حضرة اولادنا الاعزَّاء الخوري انطونيوس نصر المدبر والقس كيرللس فكاك والقس روفائيل قيومجي الجزيل اكرامهم وكيف اننا اعطينا مهلة معينة وهي مدة عشرة ايام لهذا العمل المبارك موضحين انـهُ اذا مضت هذه المدَّة ولم يقرّ راي الاكثرين من الابرشية قبل سفرنا على انتخاب واحد من الثلاثة الكهنة المذكورين فنستخدم سلطتنا البطريركية بانتخاب من نريدهُ منهم ونرسمهُ مطرانًا ونسلمهُ تدبير الابرشية قبل سفرنا الى البر المصري . فجميع من يخصُّهم التداخل بهذا الانتخاب قد سلَّمونا بحريتهم وارادتهم المتوقة معلنين انهم يقبلون عليهم مطرانًا ذاك الذي نختارهُ باتنخابنا الخصوصي ومن ثم نحن اخترنا وانتخبنا مطرانًا عليهم جميعًا ايها الابناء الاعزاء الكرام بحق سلطتنا البطريركية الاولية وبحق التسليم المذكور حضرة ولدنا القس روفائيل قيومجي نعمهُ احد الثلاثة الكهنة المذكورين الجزيل تقواه واعتمدنا ان نرسمهُ عليكم راعيًا خصوصيًا

ولكن من حيث انهُ من جهة أُولى قد اهملنا السفر الى البر المصري صحبة المركب الناري الذي يسافر من ثغر بيروت بعد يومين فقط من تاريخهِ واذ لم نسافر صحبته في هذه المرة فنلتزم بان نصبر الى خطرتهِ الثانية والتي لا تكون الَّا بعد شهر كامل حيث يدخل الفصل الشتوي الذي لا نريد السفر فيهِ . ومن جهة ثانية لا يخلو الامر من ان المنتخب المذكور كما ظهر لنا حاصل في قلق ويقتضي لمداواة افكارهِ عمل رياضة روحية عدة ايام فلهذا قد وكلنا بقـوة المنشور الحاضر حضرة اخوتنا الاعزاء كير اغناطيوس ميتروبوليط صور وكير باسيليوس مطران الفرزل وزحلة والبقاع وكيلنا البطريركي في دمشق في مدة غيابنا وكير اثناسيوس مطران طرابلس الشام ومدرسة سيدة البشارة المحترمين باسمهم عب سفرنا من هذه البلاد الى البر المصري اذ يكون المنتخب المذكور اهَّب ذاتهُ للارتسام يجتمعون في المكان الذي يقرّ عليهِ رأيهم ويرسمون بالنيابة عنَّا هذا المنتخب مطرانًا على صيدا. وبسلطتنا البطريركيَّة يصرّفونهُ في الابرشيَّة الى حينما يصلهُ منَّا فيما بعد منشور التصريف البطريركي القانوني بتثبيتهِ في ذلك . غير انهُ في هذه البرهة لكي لا تبقى الابرشيَّة فارغة من سلطة التدبير الرعائي قد فوَّضنا بسلطتنا الرعائيَّة حضرة اخينا كير اثناسيوس المذكور لاجل قربهِ اليكم بان يتعاطى بسلطتنا البطريركيَّة امورها مذ سفرنا الى حينما يرتسم المنتخب ويتسلَّم سياسة هذه الابرشيَّة تفويضًا مطلقًا في الحلّ والربط كشخصنا نفسه . واثباتًا لجميع مـا تقدم ايضاحه قد اصدرنا هذا المنشور مشعرًا بذلك طالبين من الجود الالهي ان يحفظكم جميعًا ايها الابناء.

الكرام مفيضاً عليكم انعامه ومواهبه روحاً وجسماً وان يرينا اياكم عند عودتنا باوصاف الاعتدال ونجاح الحال ومن صميم القلب نمنحكم جميعاً بركتنا الرسولية ثانياً وثالثاً

أعطي من الديوان البطريركي في اليوم الخامس عشر من شهر تشرين الاول في بندر دير القمر سنة ١٨٣٦

٣ رسامة القس روفائيل لكرسي صيداء وتسميته ثاوضوسيوس

(المقدّمات كما في المنشور الاوّل)

انهُ لمعلومكم ايها الابناء المحبوبون منا بالرب كيف ان حضرة اخوتنا العزيزين كير اغناطيوس ميتروبوليت مدينة صور وكير اثناسيوس مطران طرابلس ومدرسة سيدة البشارة المحترمين بموجب التفويض القانوني المعطى لهما منَّا بسلطتنا البطريركية بقوة المنشور المصدر منَّا في اليوم الخامس عشر من شهر تشرين الاوَّل قد وضعا ايديهما على حضرة ولدنا العزيز القس رافائيل قيومجي المنتخب منا بطريركيًا وتفويضاً مطرانًا قانونيًا عليكم جميعاً ورساه بالدرجة الاسقفية في قداسهما الحبروي المكتمل في كنيسة دير المخلص العام نهار الاحد الواقع في اليوم الثالث عشر من شهر كانون الاول الماضي وسمَّياه باسيليوس ثم صرَّفاه في درجتهِ هذه المقدسة باسمنا وعلوّ سلطتنا العالية المفوضة لهما منا في هذا التوكل الغير الاعتيادي واعرضا لدى ديواننا ذلك جميعه فمن ثمَّ اصدرنا منشورنا الذي بهِ نعلن :

اولًا انا بقوة سلطتنا البطريركية نفسها نثبت جميع ما صُنع من حضرة اخوتنا المذكورين المرقومين لانهُ صار عن تفويضنا اياهما فيهِ قانونيًا ونعتبره كأنهُ مصنوع من حقارتنا شخصياً بدون نقصان بتة مجدّدين تصريفه مطرانكم المذكور ومثبتينه باسم الآب والابن والروح القدس ومانحين شخصهُ المحترم التفويض القانوني من الديوانين السري والخارج وسلطة السياسة الرعائية وكل الحقوق الكنائسيَّة وسائر ما يتعلق ذاتيًا وقانونيًا بدرجتهِ ووظيفتهِ على ابرشية صيدا جميعها بموجب تحديد الذخيكون نظير سلفائهِ المرحومين

ثانياً قد دعوناه وندعوه ثاوضوسيوس بدلًا من باسيليوس وذلك لكي تتميز مناشيره وكتاباته وتدابيره الرعائية من تلك الموضوعة من سالفه المرحوم كير باسيليوس (لان العادة في الكنيسة ان رؤساء الكهنة لا يستعملون في الامضاوات القابهم المخصوصية اذ ان كراسيهم هي ألقابهم) ثم لانهُ يوجد باسم باسيليوس في الوقت الحاضر بمكان آخر من اخوتنا اساقفة كرسينا الموقرين بهذا الاسم وتوجد براءة سلطانية بهذا الاسم ايضاً لشخص غيره وبالتالي لا يوافق حسن الترتيب ان اسماً واحداً يكون لثلاثة اشخاص من مطارنة الطائفة في زمن واحد فهوذا ايها الابناء الاعزاء الكرام مطرانكم الشرعي القانوني اخونا وشريكنا في الخدمة كير ثاوضوسيوس الموقر يسوسكم ويرعاكم بقوة سلطتنا البطريركية المفوضة لهُ باسمنا قبلًا والتي لهُ منا الآن مصادقةً وتكرارًا فافرحوا بهِ وتعززوا بوجوده فيما بينكم وأخلصوا لهُ الطاعة القانونية بمحبة ابنيَّة وأوقروه

المقوق الاسقفيَّة تماماً كما يليق بحسن ديانتكم البهية وكرم صفاتكم الحميدة وحسبما تستحق درجته المقدسة ووظيفته السامية وصفاته الممدوحة

ونحن نسأل الرب راعي الرعاة الحقيقي ان يجمل رئاسته عليكم وخدمته الاسقفية لجميعكم عربون النجاحات وواسطة النعم الروحية والجسدية مقرونة بالبركات المتواصلة والتوفيقات المرغوبة وحسن النظام والترتيب والراحة والهدو السام مرافقةً بالتأييدات العلوية والمعونات السماوية ومن اقصى القلب نمنحكم كافةً بركتنا الرسولية ثانياً وثالثاً

أعطي من الديوان البطريركي في اليوم العشرين من شهر كانون الثاني افتتاح سنة ١٨٣٧ في مدينة مصر

٢٤ (باسيليوس حجّار) سيادة اسقف صيداء الحالي هو ابن توما حجّار ولد في جزّين سنة ١٨٣٩ ودخل الرهبانيَّة المخلصيَّة سنة ١٨٥٥ ثمَّ أُرسل الى رومية سنة ١٨٥٨ فدرس فيها العلوم الكهنوتيَّة وسيم كاهناً سنة ١٨٦٦ . ولمَّا عاد الى الشرق تولَّى مدَّةً رئاسة مدرسة عين تراز وفي ٢٤ تشرين الاوَّل سنة ١٨٧١ انتدبهُ غبطة الطيّب الذكر غريغوريوس يوسف الى تدبير كرسي بصرى وحوران . وفي سنة ١٨٧٥ عهد اليه البابا بيوس التاسع زيارة اديرة الرهبان فزارها باهتمام . ثمَّ نُقل الى كرسي صيداء ودير القمر بعد وفاة السيد ثاوضوسيوس قيومجي في ٢٤ حزيران سنة ١٨٨٧

من بورت سعيد الى جوهنسبورج

لحضرة الخوري عمنويل فضل الماروني

كانت الساعة الثانية بعد الظهر في الثالث من كانون الاوَّل سنة ١٩٠٦ لمَّا خرجنا من ميناء بورت سعيد ودخلنا في الترعة على ظهر الباخرة النمساويَّة كورير المسافرة الى جنوبي افريقية وكانت غاية رحلتي جوهنسبورج اهمّ حاضرة في الترنسفال موفدًا من غبطة سيدنا البطريرك بناء على طلب نيافة الكردينال رئيس مجمع انتشار الايمان المقدَّس وسيادة مطران المحلّ لخدمة الموارنة المهاجرين الى تلك الجهات . امَّا الاسكلة التي عندها تنتهي سفرتي في البحر فهي ديلاغوابايي التي تسمَّى ايضًا لورنسو مركاز اقرب اسكلة للترنسفال . وهي تبعد عن بورت سعيد ٤٣٥٥ ميلًا بحريًا والميل البحري

يبلغ ١٨٥٢ مترًا وان اضفت اليها الاميال التي تقطعها الباخرة في دخولها للمواني وخروجها منها تصير المسافة ٤٦٦١ وهذا تقسيمها مع اسماء المدن والمواني التي حللنا فيها . من بورت سعيد الى السويس ٨٧ ميلًا من السويس الى عدن ١٣١٠ م من عدن الى مونباسا ١٦١١م من مونباسا الى زنجبار ١٣٦م من زنجبار الى بيرا ١٠٣٤م من بيرا الى ديلاغواباي ٤٨٣ ميلًا

ويقوم بهذه الاسفار الى جنوبي افريقية على طريق السويس شركتان بحريّتان فقط الواحدة المانية والثانية نمساويّة فالبواخر النمساويّة هي بريديّة على الاخصّ وتقطع هذه المسافة باقرب ما يمكن من الوقت اي بمدة ١٧ او ١٨ يومًا . بينما تصرف البواخر الالمانيّة زهاء ٣٥ يومًا وتعرّج على مواني اخرى كثيرة غير التي ذُكرت . لكنّهُ بالمنا لسوء حظّ الركّاب المتعجلين انّ الشركة النمساويّة تكفّ عن هذه الاسفار في المستقبل لأنها ادّت بها الى خسارة مليون ونصف من الفرنكات ما لم تردّ حكومتها لها الراتب فتعدل عن عزمها هذا وتعود الى تسيير بواخرها الكبيرة ٦ او ٧ مرّات في السنة . فهذه المرة الاولى التي اسافر بها الى الترنسفال واشاهد اراضي افريقية ولذلك همّني كل ما وقع عليه نظري ودوّنت كل ما قدرت ان اعرفهُ عن هيئة هذه البلاد واحوالها وعليهِ ما كادت الباخرة تحمل مرساتها ماخرة بنا بين صفوف المراكب والسفن المالئة ذاك المرفأ حتى وقفت عند مؤخرها حيث اجتمعت كل الركاب ايضًا هذا بيده مكبّرة وذاك آلة تصوير فودّعتُ مشاهم بورت سعيد وملأتُ نظري من ذاك المشهد البهيج في حركتهِ وكنتُ احاول ان ارى ايضًا تمثال دي ليبس الذي نحن سائرون الآن في قناتهِ

فالمياه كانت في اجمالها صافية ونقيّة والشمس تارة ظاهرة وتارة من خلال السحاب ترسل علينا اشعّتها اما محرقة واما منعشة

ولم ازل واقفًا شاخصًا الى بورت سعيد اسرّح رائد الطرف على دورها واسواقها وبيوت تجارتها التي اصبحت ظلامًا من كثرة الداخن حتى صفر القطار عن يميننا وقد ملأ بخارهُ الفضاء فحولتِ نظري اليهِ وتتبّعتهُ في مسيرهِ الى الاسماعيليّة الى ان غاب عن نظري مختفيًا بين اشجار السرو وجمام النخيل

بورت سعيد احتجبت بكليتها عنّا وقد جزنا محطّتين للسكة الحديديّة وكلّ ما

كنّا نراهُ اواناذٍ رمل وبحر رمل عن شمالنا وبحر عن يميننا وباخرتنا في القنال كانها في نهر سائرة الهوينا حركة آلتها شبيهة بحركة دقات الساعة الكبيرة تئنُّ الأنّة بعد الأنّة . وهكذا كانت هيئة مسيرنا في الترعة كلها ألا اذا استثنينا مـا كنا نسمعُ في بعض المحطّات من اغاني الانكليز ونشاهدهُ من صمدات وهبطات معاول المصريين المشتغلين امامهم في بناء رصيف . وقد أثَّر فينا كذلك ما رأينا من الزوارق الشراعيَّة المشحونة فحماً او آجرًا التي تنقل محمولها مع انقطـاع الريح ولكل زورق اثنان يسحبانهِ بحبلين مشدودين بهِ وبهما وهما سائران على الشاطئ . وكنّا في الليل نقف مرارًا لمرور البواخر العائدة من الهند وغيرها

لمّا انتهينا من الترعة كان ليلًا وهنا قبل ان ندخل في البحر الاحمر لا نقدر الّا ان نحيّي ذاك الفاتح العظيم فردينان دي لسبس الذي خدم الانسانية والتجارة خدمة لا تقدَّر بمشروعهِ هذا الخطير ففتح هذه الترعة عام ١٨٦٩ بعد شغل غير منقطع مدة عشر سنوات

في الرابع من كانون الاوَّل دخلنا في البحر الاحمر وكنّا نشاهد قريباً منّا قارتي افريقة وآسية عن يميننا شواطئ مصر وعن شمالنا سواحل الجزيرة العربيَّة وهي متساوية الهيئة في الطرفين صخريَّة سوداء او حمراء مع بعض ارتفاع وترويس كانهـا اسوار وابراج شُيِّدت على هذه السواحل تحفظها من صدمات الامواج . وكان الهواء معتدلًا كما في الربيع والسماء متشحة بكساء من السحاب كأنهُ الخزّ او القطن المندوف . ومن حين الى حين كنّا نرى مركبًا تجاريًا عائدًا من الشرق الاقصى متجهاً نحو السويس . وعند الاصيل اصطبغت جبال العربيَّة بلون وردي واتّشحت ناحية المغيب في جهة مصر بثوب اصفر والبحر في الوسط لازوردي اللون ازرق . وكان يلوح بعيدًا جبل سينا يعمم رأسهُ الغمام

النهـار الخامس سماء وماء جزنا ينبع من غير ان نراها . البحر رائق حسن وكان الجوّ معتدلًا لكنهُ اشتدَّ في الغد وهبَّ هواء حار واخذ البحر يُزبد . وفيهِ تركنا وراءنا جدَّة شمالًا من غير ان ننظرها

وفي اليوم السـابع كان مرورنا بازاء سواكن ثم مصوَّع حاضرة مستعمرة الاريتره . وكان الهواء تقلَّب يهبُّ حيناً ويسكن آخر وعند العصر مررنا بالقرب من جزيرة صغيرة

عليها منارة صاعدة في وسط برج ابيض وهي احدى المناور المشيَّدة حديثًا (المشرق ٤ : ١٠٥١) ليستدلَّ ارباب البحر بنورها على طريقهم وبعد هذه بساعتين لقينا تسع جزر او صخور متفاوتة في الكبر والصغر وعلى احداهنَّ منارة . واخيرًا الساعة ٧٠١ نظرنا تحت جناح الليل ثلاث جزر اخرى من شكل الاولى لكل منها منارة وكل هذه الجزر او الصخور تُعرف باسم الاثني عشر رسولًا ثم عبرنا ليلًا بمضيق باب المندب

وفي النهار الثامن مخرنا بين جزيرة بريم وشطوط اليمن اما هيئة هاتيك السواحل فجديرة ببلاد العرب اي رمال وصخور . وبعد الظهر دخلنا في جون عدن وما كادت الباخرة تحلُّ في ميناها حتى تواردت الينا القوارب من كل جهة يركبها عرب وصوماليون حاملين الينا بضائعهم الوطنيَّة والاجنبية من مرجان وصدف وجلود حيوانات اخصها النمورة ومراوح ريش وسجاير وكنَّا نسمعهم ينطقون بكل لسان لاسيا الانكليزي وهم كانهم ... وخصوصًا الصوماليون لا يتستَّرون الَّا بإزار

... مدينة نفسها لا تُرى من البحر وهي مبنيَّة في لحف جبل اسود بركاني اما البيوت التي ... الشاطئ فهي للانكليز وهي حديثة النشأة والعجيب في عدن هو انها خالية من كل حياة نباتيَّة فلا ترى فيها شجرة نابتة او عشبة نامية ولا تحلّق في فلواتها الطيور كذلك السماء لا تمطر عليها ابدًا فلا نبع فيها ولا بئر . ومن مدة خمسين سنة جدَّد فيها الانكليز حوضًا قديمًا تجري اليه المياه من الجبال كان بناهُ القدماء . فمن هذا الحوض يبتاع العطاش ما يسكّنون به ظماهم باغلى الاثمان وعدن مع كل هذا الجدب والاكفرار وان يكن الحرّ فيها شديدًا طيّبة المناخ طريئة الهواء ملائمة للصحة وهذا حسب تسميتها عدن . اما ضواحيها فهي ارفق منها حالًا فيها اشجار وزروع ونبات . ميناء عدن ليست قليلة الحركة وقد كان فيها وقت مرورنا ما ينيف على عشر بواخر وثلاث مدرَّعات حربيَّة اثنتان ايطاليتان وواحدة انكليزيَّة . وعلى راس الجبل قلعة حريزة . وفي مساء النهار نفسه قمنا من عدن ولم نلبث الَّا القليل حتى خرجنا من البحر الاحمر ودخلنا في الاوقيانوس الهندي نؤمّ هذه المرة مونباسا

وكان النهار التاسع من ابهج واحسن ايَّامنا ولم نرَ فيه اليابسة فالسماء والشمس كانا كأنهما ازار واحد ازرق ابيض والبحر كان كمرآة ولا موجة لوَّثت تلك النقاوة او قطعت تلك الوحدة . وفوق ذلك كان نسيم بليل ينفخ كانهُ روح الحياة والسعادة وكان

ذلك اليوم من ايام رواق هذا الجبار الذي هو هائل ومرعب وقت ثورانه واقدام غضبه. لكنهُ وديع وناعم في اوقات الصفاء. وبينما البحر كان مستكنا راقدا رقاده هذا العميق لا يكاد يتحرك لمرور الباخرة الراسية على صفحته المتساوية بعض طيات وتموجات كالتي نشاهدها على بعض الاقمشة الحريرية كانت الاسماك تقترب من الباخرة افواجا افواجا تارة تصعد على وجه الماء وتارة تغوص متبخترة شاعرة هي ايضا بهذا الهناء والتنعم. وقد عمَّ الانشراح والهناء كل الركاب فقاموا يلعبون فنات فنات الالعاب المتعارفة في البواخر اي لعبة الضفضع ولعبة الباء ولعبة العشرة ولعبة الحلقات والدلو. واندفع احدهم وكان ايطاليا فاصعد من غرفته فونوغرافا على آخر طراز جميل الصوت فأسمعنا اطيب الاغاني والادوار المنقولة عن اشهر الموسيقيين من ايطاليين واجانب. وما كنا نفرقها عن الاصوات الطبيعية

وعند انتصاف الليل بعد ان كنا اوينا جميعنا الى مضاجعنا ورقدنا سكتت الباخرة على حين فجأة فنهضنا نستعلم عن السبب فوجدنا ويا لـهُ من منظر هائل باخرة تجارية دنيمركية عائدة من الهند عرضة للنيران في وسط البحر ولحسن حظ ركابها كانت على مسافة غير بعيدة منهم باخرة انكليزية فاسرعت ونقلتهم اليها ولولا ذلك لذهبوا فريسة اللهيب. اما الباخرة التعيسة فيئسوا من انقاذها ولذلك تركوها وتركناها في وسط ذلك الاوقيانوس ضحية للماء والنار. وفي النهار العاشر نظرنا راس غوردفوي في افريقية ثم توارت الارض عن عياننا وبعد يومين قطعنا خط الاستواء من غير ان نشعر بحرارة زائدة وكان وصولنا الى مونباسا في اليوم الرابع عشر

مونباسا هي مدينة للانكليز وقاعدة مستعمرتهم الافريقية الشرقية مبنية في شبه جزيرة طولها ثلاثة اميال وعرضها ميلان مرفأها يسمّى كيلنديني وهو من اجمل المرافئ الطبيعية وسيع عميق مصون من كل تقلبات البحر وامواجه ويبعد عن المدينة قدر ثلث ساعات مشياً فحوالي هذا المرفأ وعلى جنب الطريق كما في كل هاتيك الضواحي والنواحي لا ترى الّا اشجار المنبة الباسقة واحراج الاناناس والموز والارض كلها مكسوة بالاعشاب مفروشة بالخضرة تزهو بعجائب العالم النباتي. اما هيئة بيوت المدينة واحيائها فموافقة لذوق الشعوب التي تسكنها افرنجية وهندية وعربية واوربية فالافريقيون فيها لم يزالوا على زيهم القديم يتقلبون في شوارعها عراة الابدان كما كانوا في غاباتهم

يصنعون. والحرّ فيها شديد والشمس تعمي البصر والعرق ينضح من كل جسم دون انقطاع. ويقصدها بعض اغنياء الانكليز الذين لهم فيها دور انيقة قائمة بين الحدائق يأتونها لصيد السباع وضواري الحيوان التي هي كثيرة في الجهات الداخلية. وكان اكثر من ثلاثين راكباً من الذين كانوا معنا في الباخرة قصدوا مونباسا لحطّ رحالهم وغايتهم الصيد. وفيها سمعنا صفير قطار سكة اوغاندا التي ينتهي هنا على الشاطئ احد طرفي خطها والطرف الآخر عند بورت فلورنس على بحيرة فيكتوريا نيانزا. وطول هذا الخطّ ١٠٦٠ كيلومترًا ويليه طريق فاشودا حيث رأس سكة حديد الخرطوم فالقاهرة يصلها المسافر بعد اربعة ايام راكبًا طورًا القطار وطورًا الباخرة. وقد لزم تذليل عدّة مصاعب قبل انجاز هذا الخط اهمّها مدّ جسر عادي يبلغ طولهُ ثلاثة اميال ثم دكُّ الطود المعروف باسم اسكريمانت. واخيرًا مقاومة الذبابة السامّة المسمّاة تستسي التي تفتك بالحيوانات المستخدمة لنقل الادوات وعوارض الحدائد. وقد ابتُدئ في مدّ هذا الخط في ٢١ ك ١ سنة ١٩٠١ وسيكون يومًا فرعًا من السكة الحديديّة التي ستوصل مدينة الكاب بالقاهرة. وهو تارةً يصعود وتارةً بهبوط. فاولًا يصعد الى علو ٧٨٠٠ قدم عن سطح البحر ثم ينحدر الى ٢٠٠٠ قدم ثم يعود فيرتقي ثانيًا الى علو ٨٣٠٠ قدم ثم يهبط عند بحيرة فيكتوريا نيانزا الى علو ٣٨٠٠ قدم. وهذه المسافة المتّسعة التي يقطعها هذا الخطّ تصلح بكلّ المزروعات نظرًا لجود تربتها ولاختلاف اعاليها ومنحدراتها. وحوالي البحيرة وفي جوارها مشاهد جميلة جبليّة كالتي في جبال الالب حيث المناخ الطيّب والهواء النقي وهناك ايضًا هي جبال روترورى اعلى جبال في افريقية يغطّي الثلج رؤوسها

وفي اصيل النهار تركنا مونباسا وسرنا غير بعيدين عن سواحل المستعمرة الجرمانيّة الشرقيّة حتى وصلنا صباح النهار الخامس عشر الى زنجبار. فأحببت كذلك ان انزل اليها وما كدت القي قدمي على البر حتى التأم حولي كل شاب عصري زنجباري يعرف ان يلفظ بعض كلمات من اللغات الاوربية وكل منهم يريد ان اتخذهُ دليلي فرفضت طلب الكلّ وطفتُ فيها وحدي وزرت كل احيائها وشوارعها. ومما رأيتهُ قصر اميرها المشيَّد في وسط ساحة كبيرة على شاطئ البحر وهو بثلاثة طوابق من حديد وخشب ومزيَّن بشرفات واسعة مسقوفة بالاجر الاحمر رشيق الاعمدة منار بالكهرباء خارجًا وداخلًا

والمدافع امامــهُ وحواليه . والحرس كتماثيل نحاسيّة سوداء واقفون اثنين اثنين على الابواب

وسرت من القصر فوصلت الى حديقة صاحب زنجبار وحديقة الحيوانات معاً وهي باطراف المدينة فنظرت فيها انواع الحيوان كالأسد مع اشبالهـا والنمورة ثم زرت باقي الحديقة التي ليست كثيرة الاتساع فيها اشجار وزهور وفي وسطها بيت داخلهُ بركة كبيرة من الماء يقصدها عادةً الامير فيستحمّ فيها ثمَّ يستروح النسيم . وعند خروجي من الحديقة رأيت العسكر الزنجباري مصطفّاً للتعليم والتمرين اما الممرّنون فضباط انكليز . وبالقرب من هنـاك هو مستشفى راهبات القديس يوسف للفرنساويين حيث شاهدت تفاني اولئك العذارى الكاثوليكيّات في خدمة اعلّائهم الزنوج

ومن مشاهد زنجبار ايضاً معاصر السمسم وهي عبارة عن اجران خشبية يوضع فيها السمسم فتسحقهُ وتعصرهُ بالتوائها على خشبة قائمة في وسط الجرن تديرها ناقة او جمل . وسكان زنجبار كسكان باقي المدن الافريقية المفتوحة للاستعمار أخلاط من كل الشعوب ولغتهم هي العربية والساحليّة والصومالية مع اللغات الاوربيـة بتمامها . ومحصولاتها كمحصولات مومباسا وتربتها كذلك وهي كانت قبل ان تبتدئ الاستعمارات اهمّ ثغر تجاري وستبقى محافظة على هذه الاهميّة لفضل موقعها وغنى اراضيها ولا خوف عليها من ان تتأخر وان تكن السكة الحديديّة التي بدأ الجرمانيون في مدّهـا في مستعمرتهم الشرقيّة الى اوجيجي ستنقل جانباً عظيماً من التجارة الى يد الالمان

الساعة الرابعة من النهار نفسه بارحنا هذه المدينة وبقينا على مسافة ساعتين واكثر نشاهد اشجارها وغاباتها . وفي الساعة السابعة لمحنا ضياء منارة مدينة دار السلام التي اصبحت اليوم من احسن المرافئ التجاريّة بهمّة الالمانيين لكنَّ سفينتنا لم تُلق فيهـا المرساة . فسرنا مدة يومين آخرين منقطعين عن نظر السواحل حتى اشرفنا في اليوم السابع عشر على بلاد موزنبيك . وفي اليوم الثامن عشر اضطرب البحر وهاج واستولى الدوران على اكثر الركّاب وهو اليوم الوحيد الذي لم يصفُ لنا في رحلتنا . وفي غد وصلنا الى مدينة بيرا . ولها مرفأ تكثر فيه كثبان الرمال المرفأ التي يتغيّر مركزها حيناً بعد حين فانتظرنا مدّةً خارجاً عن الميناء حتى جاء الرئيس فدخلنا تحت قيادته ومكثنا النهار في بيرا وهي مدينة للبرتغال مبنيّة على الشاطئ واغلب بيوتها من الخشب والحديد وبهـا

كما في المدن الساحليَّة الفنادق والقنصليات والمخازن من كل الانواع والاحراج الافريقيَّة كذلك كثيرة في جوانبها . عند هذه المدينة يختلط نهر بوزي بنهر بولنجوي فيزيدانها اهميَّة وعندها ايضًا ينتهي خطّ سكة « بيرا سليسبوري » الذي يقطع حقول مانيكلاند وماشونلاند الذهبيَّة والخصبة حتى يصل الى بولاوايو . وقد ظنَّ بعض العلماء موقع مدينة اوفير التي يذكرها الكتاب المقدس كان في هذه الاصقاع والذي يقرّب هذه الآراء من الحقيقة هو ما عثروا عليه هنا من الآثار القديمة والمدافن الفينيقيَّة ومعادن الذهب

ثم واصلنا السفر دون ان يحصل لنا ما يستحقّ الذكر حتى جاورنا في اليوم العشرين السواحل وهي جميعها نامية بالاشجار خضراء بالنبات وفي صباح اليوم الحادي والعشرين مع الشروق وصلنا الى ديلاغواباي المدعوَّة ايضًا لورنسو مركاز . فهنا ودَّعت الباخرة ونزلتُ الى المدينة مع الشكر والحمد لله على وصولي بالسلامة بعد السفرة الطويلة ولبثت فيها ثمانية ايام قبل ان اطلع الى جوهنسبورج وعليهِ تمكنت من زيارتها كلها . وقد وجدتها بالحقيقة جميلة . فسيحة الاحياء نظيفة الاسواق واشجارها على صفين او اربعة في اغلب الشوارع وبها البنايات الانيقة والحدائق الغناء والفنادق المريحة والترامواي والمصابيح الكهربائيَّة وميناها من اجمل موانئ افريقية فتربط البواخر على الشاطئ وهكذا ترتاح الركَّاب من مؤونة عذاب الزوارق

ومدينة ديلاغواباي لم تكن بهذه الظرافة والتأنق من عهد اربع سنوات بل كانت مستجمع الحميَّات والامراض لكثرة ما كان يتكوَّم فيها من الاوحال والاقذار ويبقى فيها من المياه المستنقعة في فصل الامطار . ولعمري ان الحكومة البرتغالية هبّت هبَّة عظيمة واجرت بها تحسينات كبيرة في ظرف هذه الثلاث السنوات حتى اضحت هذه المدينة بالهيئة النظيفة التي رأيتها عليها فوسَّعت الاسواق ورصفتها على الجانبين ومدَّت الاقنية لتصريف المياه والاقذار ونصبت اشجار الاوكاليبتوس صفين واربعة صفوف في كل الطرق وعملت الساحات والجنائن وغير ذلك ممَّا جعلها مدينة اوربيَّة صرفًا نظيفة من كل مرض لا اثر فيها بعد لاقلّ حمَّى خبيثة

غير ان الحكومة مع سعيها المحمود في تحسين البلدة لا تزال لحد الآن غافلة عن استدرار اقلّ نفع من مستعمرتها الافريقيَّة وهكذا لم تُعنَ بزراعة هذه البلاد الخصبة

بل كانت ولا تنفكّ تستورد خضرها وبقولها وحبوبها من مستعمرة الكاب والترنسفال كذلك ما بحثت ولا سمحت لاحد ان يبحث فيما اذا كانت اراضيها تحتوي على معادن الذهب والماس كما هو المظنون نظرًا لمجاورتها للترنسفال . ومما يُذكر ايضًا ويندهل له العقل انها صعبة مع رعاياها الذين يريدون الاقدام على احد المشاريع او يطلبون احد الامتيازات بالوقت الذي هي سهلة جدًّا مع كل طالب اجنبيّ لاسيما اذا كان انكليزيًا

نهار الاحد في ٢٣ الجاري ذهبت الى كنيسة الخورنيَّة فرأيتها في كل قدّاس غاصَّة بالناس من اوربيين وسوريين وعبيد وهي الوحيدة في كل المدينة اما خدَمة هذه الرعيَّة فهم كهنة بورتغاليون وقد واجهت خوريها الشاب فاذا هو لطيف رقيق فسألتهُ عن السوريين أكانوا يواظبون على الصلاة وباقي الواجبات الدينيَّة فاكَّد لي ثبات البعض لا الكلّ واخبرني بانهُ عمَّد بعض اطفالهم ووزَّع غالبًا على كبارهم الاسرار . اي نعم ان السوريين اصبحوا اليوم في كل مكان ليس من محلّ الآن يخلو منهم وقد شاهدت في هذه البلدة الباعة المتجوّلين من السوريين والسوريَّات راجعين من المبيع او ذاهبين الى الاسواق يصحب كلًّا منهم امرأة كانت او رجلًا عبد يحمل له صندوق بضائعه وسلمه . وعلى هذا النوع يتفرقون في الاحياء ويتجولون في المزارع ويدخلون البيوت فيجمعون ما يجمعونهُ من الدريهمات بعد الكد والجهد والعناء

في التاسع والعشرين الساعة الثامنة بعد الظهر بارحت لورنسو ماركاز بعد ان قاسيتُ من حرّها ما لا يطاق راكبًا القطار الى مدينة جوهنسبورج ولم نلبث الّا القليل حتى قطعنا حدود المستعمرة البرتغاليَّة ودخلنا في بلاد الترنسفال . فوجدتُها غنيَّة جدًّا فسيحة السهول خصبة الوديان كثيرة المراعي يرتاح النظر الى مشاهدة اراضيها المختلفة من اطواد وحزون ومروج وغابات . الساعة الثانية بعد الظهر وقف القطار في بريتوريا العاصمة الساعة ٤ من ٣٠ كانون الاوَّل وصلت الى جوهنسبورج فاستقبلني على المحطة بعض كرام السوريين وذهبت توًّا الى دار الاسقفيَّة حيث حللت على الرحب والسعة

قبل الولادة وبعد الموت

ردّ رابع على المقتطف

لحضرة الاب انطون صالحاني اليسوعيّ

كان اقترح علينا المقتطف حلّ بعض مسائل متعلّقة بالنفس فاجبناهُ بما نعلمهُ انهُ الحقّ. فأثبت اجوبتنا في صفحاته وطلب منا زيادة ايضاح وحلّ اسئلة أُخرى عرضها علينا في عددهِ الاخير الصادر في اذار سنة ١٩٠٧ قال:

« فخلاصة كلام حضرة الكاتب هو ان نفس الانسان يخلقها الله من لا شيء حالما يتم تلقيح البيضة التي يتكوّن منها جنين الانسان وفي تلك اللحظة عينها تحلُّ هذه النفس في البيضة الملقحة فتصير انساناً ذا نفس خالدة وهذه النفس لا تخرج الى حيز العمل الّا بعد ان تبلغ الحواس والدماغ الدرجة اللازمة من النمو والكمال وحالما تخرج من الجسد تمثل امام الله الديّان لتؤدي الحساب عمّا عملت في حال اتحادها بالجسد فيضعها اما في السماء او في جهنم او في المطهر

ولم يبيّن لنا حضرتهُ ماذا يصيب نفوس البويضات التي تتلقح ثم لا يتكوّن منها جنين كامل او يتكوّن الجنين ويسقط من غير ان يعمل عملاً يثاب عليهِ او يعاقب. ولا بيّن مقدار زمن الحساب لانهُ يموت في كل دقيقة من الزمان اكثر من مئة انسان وقد يموت الوف في الدقيقة الواحدة كما اذا خربت المدن بالزلازل وغرقت السفن في البحار وحصدت النفوس في الحروب. ثم هل يستطيع الكاتب ان يورد دليلاً كتابياً على ان الله يحاسب هذه النفوس كلها في الدقيقة التي تخرج فيها من اجسادها وفي الكتاب نصوص على ان الحساب يكون في انقضاء العالم. وكذلك لم يبين ما يصيب الناس الذين لا يتقلدون معتقدهُ . . . هل تحشر نفوس هؤُلاء كلهم في جهنم النار كما يعتقد ابناء طغمتهِ او يسمح لها بدخول السماء. ولا ما هي ادلتهُ على ذلك ولا ما اذا كانت النفس تشعر بعد خروجها من الجسد وقد قال ان الجسد آلتها للشعور »

وليعلم حضرتهُ اننا نسألهُ هذه المسائل عاماً بعترف معنا بانهُ يجهل اموراً كثيرة كما نجهلها نحن لا لاننا ننكر وجود النفس كما يظن فاننا لا ننكر وجود النفس مطلقاً ولكننا لا ندعي اننا نعرف ما نجهلهُ ويجهلهُ كل احد

قيل ان ولداً قال لامهِ ذات يوم اني استغرب ادعاء فلان الواعظ فقالت لهُ امهُ وما دليل ادعائهِ فقال « انهُ يتكلّم عن الله كأنهُ ابن خالتهِ وعن السماء وجهنم كأنهُ قضى عمرهُ فيهما وقاسهما بالشبر ». ولكن اين ادعاء ذلك الواعظ من ادعاء بعض الوعاظ فانا سمعنا غير مرة يعظون ورأيناهم يصورون الناس في جهنم رجالاً ونساء وطرق العذاب التي يعذَّبون بها وقد بلغت الدعوى منهم انهم يتهمون بالكفر مَن يتكلّم بالحق ويقول اننا نجهل هذه الامور وامثالها »

فنجيب اننا لا ندَّعي معرفة كل ما يخصّ النفس بل نقرّ بعجزنا عن علم امور عديدة

نجهلها نحن وكل العلماء والفلاسفة ولا يعلمها ألّا الله وحده خالق النفوس والاجساد . لكن تقصيرنا هذا لا ينفي معرفتنا بامور كثيرة ثابتة ومقرّرة . وهذا يحدث ايضاً في العلوم الطبيعية . نعرف مثلاً اموراً شتّى عن الشمس والقمر والسيارات والنجوم والجاذبيّة والكهرباء . الّا انّ ما نجهلهُ عنها هو اوفر . لكن جهلنا فيما لا نعرفه لا ينفي حقيقة ما نعرفه . كذلك نقول عن معرفتنا الله والنفس . فالذي نعلمه نقرّره ونبيّنه ونبرهن عليهِ . وما لا نعلمهُ نقول اننا لا نعلمه . فمن يا ترى يمكنه فهم كيفيّة اتحاد النفس الروحية بالجسد المادي . وكيف تدرك النفس الروحية بالحواس وكيف تجرّد من الادراك الحسّي الكليات اي المعاني العمومية التي هي موضوع ادراكها العقلي . هذه امور تتحقق وجودها ولا نعلم كيف تتمّ . ونعلم عن الله عزّ وجلّ اموراً عديدة مثل وجوده وكونه روحاً ازليًا كلّي الكمال وانّهُ الخالق لجميع الموجودات والمدبر والحافظ لها والمعتني بها بحكمة تفوق الوصف . الّا اننا نجهل عنهُ تعالى اموراً اوفر . ثم اننا اذا تكلمنا عن وجوده وعلمه ومشيئته وكمالاته لا نتكلّم الّا بالتشبيه حسب تصوراتنا وفهمنا وعقلنا القاصر

وهكذا القول في البحث عن السماء وجهنم . فاذا قلنا بوجود سماء وانها محل سعادة يحيا فيهِ الى الابد من احبّ الله واطاعهُ في هذه الدنيا لا نرتكب شططاً بل نتكلم بما ينطق بهِ العقل . واذا قلنا بوجود جهنم وانها محلّ عذاب يُعاقب فيهِ الى الابد الهالكون المرذولون من الله لمعاصيهم لا نقول خطأ بل نثبت ما يبرهنهُ العقل فضلاً عن الايمان وما قال ويقول بهِ كل الشعوب حتى الوثنية

امّا ما يأتيهِ بعض الوعاظ من الغلو في وصف جهنم فهذا ليس من الفلسفة والايمان بشي . . وفيما يقرّرهُ العقل والايمان عن جهنم كفاية لردع الاشرار عن المعصية لعزّتهِ تعالى اذا شاؤوا

ولا يخفى ان الفصاحة تطلب من الخطيب ان يوفّق طريقة تعبيره عن معانيه مع درجة علم وفهم سامعيهِ . فيختلف نوع تعبيره باختلاف طبقة هؤلاء . فلا يخاطب العامّة كما يخاطب العلماء والفلاسفة ولا المتقدمين بالعمر كالاحداث . فالسيّد المسيح لم يكن يكلم الشعوب كما كان يكلم الفريسيين والكتبة . بل كان يكلم الجماهير بالتشابيه والامثلة ويكلم العلماء بالبراهين الكتابية . وعلى كلّ يلزم ان يكون الحق ركن الواعظ ومعتمده

ولكن لندع على حدةٍ الوعظ والوعّاظ ولنتكلمنّ عمّن يدّعي العلم . فكم من الكتبة في عصرنا هم في حاجة عظيمة الى الوعظ والتنبيه والتحذير لانهم يظنون ان قلمهم يسطر الحق وهم بعيدون عنه

وعليهِ وان كنّا لا نعرف الله « كانه ابن خالتنا » يمكنا مع ذلك ان نتكلم عنهُ . لاننا نعرف ما يكفي لنتكلم ونفيض . نعلم انهُ واجب الوجود وازليّ وكلي الكمال وانهُ الرب والخالق والحافظ للكائنات وانهُ يثيب الانسان على اعمالهِ بالخير او بالشرّ . فترى من ثمّ انهُ يمكنا ان نتكلم عن السماء وجهنم وان « لم نقض عمرنا بهما ولم نقسهما بالشبر » لاننا نعرف ما يكفي عن سعادة من يخلص وتعاسة من يهلك لنبيّن للعقول هذه السعادة وهذه التعاسة

لنأتينّ الآن الى حلّ الاسئلة التي عرضها علينا [illegible] :

اولًا : لا وسط بين هذين الامرين تلقيح البويضات [illegible] تم تلقيحها . فاما انهُ صار التلقيح وتمّ واما انهُ لم يصر ولم يتمّ . فان لم يتمّ لا تخلق النفس . اما اذا وُجد وتمّ تُخلق [illegible] حالًا وتتحد بهذا بدء الجنين . ثم اماً انهُ ينمو حتى يبلغ الولادة اما عوارض تطرأ عليهِ يموت في وقت قريب من التلقيح او في وقت ابعد . او يسقط ميتًا او حيًّا ولا يلبث ان يموت . وهذا لا يمنع ان تكون النفس قد خُلقت واتحدت بهِ . كما انّ موت الولد بعد الولادة بايام لا يمنع ان تكون نفسهُ قد خُلقت . فتكون قد اتحدت بجسمه ثم انفصلت عنهُ . وهذا يحدث ايضًا في بيوض الطيور وفي الاثمار . فانهُ في بيضة الطائر توجد الحياة لان الحضانة الطبيعيّة او الاصطناعية لا تضع فيها الحياة بل تفترضها وتعاونها على الانتشار والنمو . فاذا اوقفنا الحضانة قبل تمامها ووضعنا البيضة في الماء لا تلبث ان تفقد الحياة . واذا كسرنا قيض البيضة نشاهد ضمنها الفرخ غير كامل . ويحدث ايضًا ان بعض الاثمار تعقد ثم تجفّ وتموت قبل ان تنمو . وهذا ما يحدث للجنين احيانًا فانهُ اذ يتم تلقيح البويضة تخلق النفس حالًا وتتحد بها ثم يحدث ان لا يكمل الجنين ويموت فتنفصل عنهُ النفس . ولا تعدم هذه النفس لانها بسيطة وروحية ولا يريد الله ملاشاتها فتبقى الى الابد . وبما انها لم تعمل عملًا تُثاب عليهِ او تُعاقب ولانها لم تنل حياة النعمة بالعماد فتُحرم السعادة الفائقة الطبيعة اي رؤية الله

والتمتع بهِ لكنها تُعطى سعادة طبيعية فقط . وسيأتي الكلام عن كيفيـة ادراكها ومعرفتها المعقولات

ثانيًا: ان ما استعظمهُ المقتطف من محاسبة الله لالوفٍ من النفوس في لحظـة عين ليس فيـهِ ما يُستعظَم او يستغرب. بل إعظام المقتطف لهذا الامر هو موضوع استعظامنا. فان الله يعلم بلمحة بصر عددًا لا يحصى من الكائنات والاعمال. لانَّ علمه غير متناهٍ يحيط دائمًا بكلّ الموجودات فيعتني بها ويحفظها . واذا انكرنا هذه الحقيقة انكرنا احدى كمالات الله تعالى. فلا يصعب اذًا على الله ان يُبيّن لالوفٍ من النفوس في الثانية من الوقت حالتها من الطاعة لوصاياه والبرارة او من المخالفة والاثم . والدينونة ليست شيئًا آخر . فتعلم كل نفس ما تستوجبهُ اعمالها ان صالحة او طالحـة وتكون خالصة او هالكة

ولا يجهل المقتطف ما كتبهُ الفلاسفة والعلماء في ايامنا عن الهيبرمنيزي (١ كيف ان الانســان في بعض ظروف تتهدد حياته بخطر عظيم مثل الاختناق في الغرق او السقوط من شاهق يتمثل في ثانية من الزمان اعمال حياته كلهــا بنوع جليّ . فالذي يحدث في بعض المخاطر يحدث في الدينونة لكل نفس فانها تعلم وتذكر كل ما عملتهُ في حياتها من خير او شرّ وتتحقق ما تستوجبه من ثواب او عقاب . فيريها الله ذلك باقلّ من لا ولا ويكون قد دانها. وكما ان الشمس في كل ثانية تنير نصف المسكونة كذلك يقدر الله ان يدين في كل ثانية مئات الوف من النفوس . او يظن المقتطف حفظهُ الله ان الرب الديَّان في انقضاء العالم يحتاج الى سنين طويلة ليدين جميع البشر في الدينونة العموميَّة. فانهُ قادر على ان يدين الجميع بلحظة عين. وكنَّا نودّ ان لا يأتينا المقتطف بهذا الاعتراض الواهي

ثالثًا: ثم قال المقتطف « هل يستطيع الكاتب ان يورد دليلًا كتابيًا على ان الله يحاسب هذه النفوس كلها في الدقيقة التي تخرج فيها من اجسادها وفي الكتاب نصوص على ان الحساب يكون في انقضاء العالم» . فنجيب ان هذه المسألة لا علاقة لها بالمسألة

١) راجع عن الهيبرمنيزي (Hypermnésie) المجلة الفلسفية Revue philosophique dirigée par M. Ribot. Janv. 1896 p. 26 et suiv. Mars 1896 p. 304 et suiv. وكتاب امراض الذاكرة للمسيو ريبو Ribot. Maladies de la mémoire p. 141 et suiv.

الجوهريَّة التي كنَّا خضنا فيها في مقالاتنا السابقة. لانهُ سواء تمَّ الدينونة في انقضاء العالم او حالاً بعد موت كل انسان لا يغيّر ذلك شيئاً في سعادة النفس او تعاستها في خلاصها او هلاكها ولا يفيد ولا يضرّ فتيلاً في اثبات او نفي حقيقة وجود النفس وروحانيتها وبقائها الى الابد. وهذه المسألة ليست فلسفيَّة بل لاهوتيَّة. ومع ذلك لا بأس ان نلمّح اليها

فنقول ان في الكتاب نصوصاً تبرهن الدينونة العمومية كما في (متى ٢٠:٢٩—٣٧ ومرقس ١٣: ٢٤—٣٤) ومواضع اخرى شتَّى. الَّا انَّ هذه الدينونة العمومية لا تنافي الدينونة التي تجرى لكل انسان حالاً بعد موتهِ ونسميها الدينونة الخصوصيَّة. وقد ورد عليها نصوص في الكتاب. قال بولس الرسول (عبرانيين ٩: ٢٧) «حُتم على الناس ان يموتوا مرة واحدة وبعد ذلك الدينونة» فهذا النصّ يشير الى الدينونة الخصوصيَّة اكثر منهُ الى العموميَّة. وجاء في الفصل ١١ من سفر يشوع بن سيراخ الآية ٢٨ و ٢٩: «هيّنٌ عند الرب ان يجازي الانسان بحسب طرقه يوم الموت شرّ ساعة ينسي اللذات وفي وفاة الانسان انكشاف اعماله. لا تغبط احداً قبل موته». وفي سفر الجامعة الفصل ١١ الآية ٨—١٠: «اذا عاش الانسان سنين كثيرة وفرح في جميعها فليتذكر ايام الظلمة انها ستكون كثيرة فانَّ المستقبل كلهُ باطل فافرح ايها الشاب في صبائك وليطب قلبك في ايام شبابك وسرّ في طرق قلبك وفي مرأى عينيك لكن اعلم ان هذه كلها سيحضرك الله لتدان عليها». وهذا النصّ يشير خاصة الى الدينونة التي تعقب الموت حالاً. لانَّ ايام الظلمة هي يوم الموت وحينئذٍ يحضر الله النفس ليدينها على اعمالها ويقابل الكتاب بين لذات الحياة وهول الموت والدينونة

ولدينا نصوص أخرى يُستنتج منها ان الانسان يُدان حالاً بعد الموت. كالمثل الذي ضربهُ المسيح عن الغني ولعازر (لوقا ١٦: ٢٢—٢٦) «مات المسكين فنقلته الملائكة الى حضن ابراهيم ومات الغني ايضاً فدُفن في جهنم فرفع عينيه وهو في العذاب... اني معذب في هذا اللهيب... والآن هو يتعزى وانت تتعذب» فمن ثواب المسكين بالسعادة وعقاب الغني بالتعاسة حالاً بعد الموت يُستدلّ ان دينونة كل واحدٍ منهما تكون قد جرت وتمت. وهكذا القول عن اللص المصلوب عن يمين يسوع المسيح فانهُ سمع هذه الكلمة المعزّية «الحق اقول لك انك اليوم تكون معي في الفردوس»

(لوقا ٢٣ : ٤٣) وهـذا البرهان يسوقنا الى برهان عقلي يقرّب قبول ما نقولهُ . فانَّهُ في موت كل انسان ينتهي وقت استحقاق الثواب او العقاب . ومن ثم فالاقرب للعقل ان تنال النفس بعد الموت ما استحقت من الجزاء دون تأخير

وعلى كلٍّ فان لم يقبل المقتطف بهذه الآيات فنحن ندعن في هـذه المسألة لتعليم الكنيسة التي اعتمدت على تواتر تعليم الآباء من اوّل النصرانيَّة في الحكم بان النفس تنال حالًا بعد الموت ما تستوجبهُ افعالها إن بارّة او اثيمة . وفي ليتورجيـة جميع الكنائس سواء كانت شرقيَّة او غربية كاثوليكيَّة او غير كاثوليكيَّة ما يؤيد تعليمنا فان صلوات الكنائس تصرّح بان نفوس الابرار تتمتع بمشاهدة خالقها . فلا بدّ اذًا من ان يكون الله قد حاسبها على اعمالها في دينونةٍ خصوصية

رابعًا : امَّا قول المقتطف « لم يبيّن (مكاتب مجلّة المشرق) مـا يصيب الناس الذين لا يعتقدون معتقدهُ هل تحشر نفوس هولاء كلهم في جهنم النار كما يعتقد ابناء طغمته او يسمح لها بدخول السماء ولا ما هي ادلتهُ على ذلك » فنجيب عليـهِ ان علماء الكاثوليك لا يعلّمون هذا التعليم ولا يحشرون كل الناس في جهنم النار لاننا لا نعلم من يخلص ولا من يهلك . ويوجد فرق عظيم بين القول بان المعتقد الفلاني فاسد وبين القول بان الذين يتبعونهُ هالكون . الله وحده يعلم ذلك لانَّ عملهُ في الضمائر والنفوس خفي لا يدركهُ البشر . ويا حبذا لو كانت النفوس كلها تخلص وتدخل السماء . ولو اقتضى ذلك منَّا ان نفديها بارواحنا

فتعليمنا هو ان الله يمنح لكل البشر حتى للوثنيين النعم اللازمة والكافية للخلاص « الله مخلصنا الذي يريد ان جميع الناس يخلصون ويبلغون الى الحقّ » (١ تيموثاوس ٢ : ٤) . لكن كم من الناس لا يستفيدون من ارادة الله . وذلك بذنبهم امَّا لمعرفتهم الحق ورفضهم لـهُ امَّا لارتيابهم بمعتقدهم ولعدم سعيهم في ازالة هذا الريب وامَّا لمخالفتهم بمعرفـةِ الشريعة الطبيعية او الوضعيَّة فيبذرون ويضيّعون النعم التي يهبهم اياها الله بل يصبُّها عليهم بغزارة . فمثل هؤلاء يلزمهم ان لا ينسبوا هلاكهم الَّا لذواتهم

ومعلوم انهُ يوجد كثير من الناس الذين وان كانوا بعيدين عن المذهب الحقيقي لا يرتابون مع ذلك في معتقدهم . فقد عرفنا في بـلاد الانكليز عددًا من البروتستانت المستقيمي السيرة مطمئني البال في معتقدهم لا يشكّون فيـهِ . ثم اعتنقوا المذهب

الكاثوليكي واقرُّوا انهم لم يرتابوا البتَّة في صحـة كنيستهم الى ان انار الله عقلهم وارشدهم الى الكنيسة الحقيقيَّة . فهذا العلاَّمة الشهير المرحوم الكردينال مانينغ قد أكَّد انهُ لمَّا اقتبل درجة الارخيدياقن في الكنيسـة البروتستانية قبل ان يهتدي الى الكثلكة شعر بتعزية باطنة عظيمة وفرح روحي لا يوصف . ولم يكن قبلاً خامر عقلهُ اقلّ شك في صحَّة مذهبه . ومثله كثيرون . ويصدق قولنا هذا خاصةً اذا كان الكلام عن الذين هم اقرب من البروتستانت الى الكنيسة الكاثوليكيَّة . فاذا افترضنا مثـل هؤلاء الاشخاص الذين لا يرتابون بمعتقدهم ويحفظون كما يجب الشريعة الملتزمون بحفظها فمن تراهُ يجسر ان يحكم عليهم بالهلاك

لا بل اذا افترضنا رجلاً وثنياً حافظاً للشريعة الطبيعيَّة المطبوعة في عقل كل انسان لا يخامر ضميرهُ ريب فيما يتعلق بالمعتقد والديانة ويؤمن على الاقلّ بوجود الله وبانـهُ يثيب كل انسان على اعماله كما قال الرسول (عبرانيين ١١ : ٦) « وبغير ايمان لا يستطيع احد ان يرضي الله لانَّ الذي يدنو الى الله يجب عليهِ ان يؤمن بانهُ كائن وانهُ يثيب الذين يبتغونهُ » فمثل هذا الانسان المحبّ لله يمكنهُ ان يبلغ الخلاص ونحسبهُ من نفس الكنيسة وان لم يُحسب من جسمها لاننا لا نكون اعضاء في جسم الكنيسة الَّا بالعماد

ولا يخفى ان الانسان الذي يسلّم بالوحي هو اقرب للايمـان من الوثني الذي لا يسلم بالوحي . وان عدم الارتياب في المعتقد يوجد عند البسطاء والاميين اكثر منهُ عند العلماء والمتأدبين . وانَّ حفظ الوصايا في كنيسة المسيح الحقيقية اسهل عموماً لتوفر النعم ووسائط الخلاص فيها اكثر ممَّا في الكنائس الغير الحقيقية . وعليهِ فمسألة الخلاص او الهلاك فيما يخصّ كل انسان هو سرّ غامض لا يعلمهُ الَّا الله وحده وسيعرف كل انسان حالًا بعد موته اذا كان من الخالصين او من الهالكين ولا يهلك احدٌ الَّا بذنبهِ . فبعد ما قلناهُ وصرَّحنا بهِ هل يمكن لاحدٍ ان يستنتج انهُ « بحسب تعليم الكاثوليك تُحشر في جهنم النار نفوس كل الناس الذين لا يعتقدون معتقدنا او اننا لا نسمح لها بدخول السماء » كما اتَّهمنا المقتطف اذ قال « كما يعتقد ابناء طغمتهِ » . لا لعمري

خامساً : قال المقتطف : « لم يبيّن (مكاتب المشرق) اذا كانت النفس تشعر بعد خروجها من الجسد وقد قال ان الجسد آلتها للشعور »

فنجيب ان الشعور يقسم الى شعور حسّي وشعور عقلي . فالجسد هو آلة النفس للشعور

طالما هي متحدة بهِ . لكن عندما تنفصل عنهُ فمن الواضح انها لا تشعر بالحواس بل لها طريقة أُخرى تعلم بها الامور . فالنفس المنفصلة عن الجسم لا يمكنها ان تنظر ولا ان تسمع ولا ان تذوق ولا ان تشم ولا ان تلمس كما ان الله لا ينظر ولا يسمع ولا يذوق ولا يشمّ ولا يلمس لانهُ روح محض ومع ذلك يعلم كلّ هذه الامور بنوع غير حسّي . كذلك النفس في حال انفصالها تدرك الماديات والمعقولات بنوع عقلي غير مادّي لانها عقل . كما انها في حال اتحادها بالجسم تدركها بالحسّ وتجرد من المحسوسات موضوع ادراكها العقلي . فالصعوبة ليست في ان نفهم كيف تدرك النفس وتعلم بعد الموت في حال انفصالها عن الجسد لكن في ان نفهم كيف تدرك النفس الماديات وغير الماديات في حال اتحادها مع الجسد . فمن يمكنه ان يفهم كيف تدرك النفس بالبصر وبالسمع وبالذوق وهلمّ جرًّا . فانهُ لا يصعب عليَّ ان ابصر الشمس اذا اشرقت باشعتها على الارض لكنَّهُ يصعب ان اراها وهي محجوبة بالغيوم . كذلك المعقولات هي للنفس في حال اتحادها بالجسم كالشمس وراء الغيم امَّا في حال انفصالها فكالشمس اذا انقشع عنها الضباب

ومع انهُ في هذه الحياة الدنيا يسبق او يرافق معارفنا ادراكٌ او تخيل حسّي مع ذلك نميز جيدًا الادراك الحسي من الادراك العقلي فاني اعلم ما هو الله وما هي الفضيلة والرذيلة وما هي النسبة وما هي العلّة وما هو المعلول وهذه المعاني هي عقليَّة محضة . ثم اذا رسمت على القرطاس خط الدائرة فان عيني تبصرها لكن عقلي يدرك ما هو محيط الدائرة بنوع اكمل ممَّا ترسمهُ يدي او تراه عيني وعليه ففي حال اتحاد النفس بالجسم يدرك العقل اشياء لا تقع تحت الحواس . فلا عجب ان يدركها في حال الانفصال . لانهُ عقل حيّ عامل فلا بدَّ لهُ من ان يعمل وعملهُ هو ان يعلم الامور

فممَّا سبق يتَّضح اننا ابعد من ان نتَّهم بالكفر من يتكلم بالحقّ . لكن قد ترد في المجلَّات بعض مقالات او فقرات منافية بنوعٍ صريح للحقائق المقرَّرة . فتفنيد مثل هذه الاقوال فرضٌ واجب

لبنان

نظر في اشغالهِ العموميَّة وزراعتهِ ومستقبلهِ الاقتصاديّ

للاديب اميل افندي خاشو مهندس لبنان سابقًا (تابع)

٢ زراعتهُ

دعنا ننتقل الآن الى بحث آخر نجدهُ اخطر شأنًا من بحثنا السابق في اشغال لبنان العموميَّة نريد الزراعة. فانَّ لبنان جبل زراعيٌّ يجد اهلهُ في استنبات تربتهِ ثروة واسعة لو شاؤوا. ومن ثمَّ نرى انَّ الحكومة تكسب شكر اللبنانيين لو اقامت لهم مهندسًا زراعيًا فانهم الى مثل هذا ناظر الزراعة احوج منهم الى مهندس للطرق والجسور. ولعمري انّي طالما تأكّدت الامر بذاتي وعرفت ما يُبنى من الآمال على زرّاع خبير يرشد اهل الجبل الى تحسين زراعتهم وتنظيمها على حسب الاصول المرعيَّة اليوم في البلاد المتمدّنة

والعجب كلّ العجب ان الزراعة اللبنانيَّة لا تزال في طفوليَّتها كما كانت في عهد قدماء المصريين والفينيقيين فترى المحاريث الخشبيَّة غير محكمة الصُنع يجرُّها البقر ولا تكاد تقلب التربة بل تخمش وجهها فقط

وقد انتبه البعض منذ زمن قريب الى هذا الخلل لكنَّهم لم يمكنهم سدّهُ امَّا لكونهم لم يتفرَّغوا الى درس هذه الصناعة درسًا قانونيًا امَّا لقلّة ما وجدوا من الوسائط لتحقيق مرغوبهم. فصرفوا نظرهم الى تربية دود القزّ مع انَّ الزراعة تجديهم ارباحًا اعظم من الحرير بكثير

هذا ولا نجهل انَّ لفنّ الزراعة اصولًا لا يدركها العوامّ فتحتاج الى من يقرّبها الى فهمهم ولهذا تمنَّينا ان تُعيّن الحكومة ناظرًا للزراعة يفيد اهل لبنان امورًا عديدة تفوتهم. فمثال ذلك انَّ الفلّاح يعلم في اي زمان يقتضيهِ زرع الذرة والقمح لكنَّهُ لا يدري ايَّة تربة اصلح لجنس دون آخر فلو وجد خبيرًا لأفادهُ ما يجهلهُ. كما انَّ المريض يعلم انَّ الكينا تشفي الحمَّى لكنَّهُ يلتجئ الى الطبيب ليعرف علَّة تلك الحمَّى ويحسم سببها وليقف ايضًا على زمن التداوي بالكينا وعلى كميَّتها وغير ذلك ممَّا هو موكول الى

علم الطبيب . فهكذا الزراعة فانها تحتاج الى شروط متعددة هي من شأن العالم بها يهدي غيرهُ اليها . ومما يذهلنا انَّ لحكومة لبنان عشرة اطبَّاء او اكثر تنفق عليهم وليس لها ناظر واحد للزراعة

وهذا ما يحدُو بي الى ان اقدم هنا للقرَّاء بعض ملحوظات شخصيَّة لحظتها في مدَّة تجوالي في لبنان وان كان هذا الامر خارجاً عن حيّز اشغالي الهندسيَّة الَّا اني لا اقول شططاً لاني قضيت سنوات عديدة في القطر السوري والمصري وكلاهما من البلاد الزراعيَّة وخدمتُ سنةً في شركة زراعيَّة في مصر فتعاطيت الابحاث المختصَّة بالزراعة

واوَّل ما يُقتضى التنبيه اليهِ ان تُعاد الى لبنان غاباتهُ القديمة فيُكسى هذا الجبل بالاشجار التي كانت فخرهُ وزينتهُ في غابر الاعصار . وهذا بالحقيقة مشروع غاية في الاعتبار لا يستغني عنهُ الوطن سواء كان لتخفيف وطأة الحرّ او لغنى الاهلين ولمستقبلهم الاقتصادي فلا بأس أن نسترسل في هذا الموضوع

ولا اظنّ انَّ احداً يحتاج الى أن اصف لهُ ضرورة الاحراج او يُماريني في بيان منافعها فانَّ لدينا امثالاً قريبة تزيل في ذلك كل شكّ . فالجزائر مثلاً كانت قبل خمسين سنة بلاداً قفرة تحرقها الشمس ولا تكاد امطار الشتاء تجودها فتحييها . فحاولت الحكومة المحليَّة ان تستدرك هذا الخلل فغرست على طريقة نظاميَّة غابات الاشجار فاصبحت اليوم تلك الجهات مقصودة لحسن هوائها ورطوبة جوّها واعتدال مناخها . والامطار فيهِ تسقط بنظام وتتكلَّل هامة جبالها بالثلوج

وهذا المثل دفع الحكومة المصريَّة منذ بضع سنوات الى ان تنشئ « شركة وردان » غايتها نصب الغابات وقد خصَّت لذلك ٤٠,٠٠٠ فدَّان من املاكها

اما لبنان فانهُ على عكس ذلك يفقد يوماً بعد يوم القليل ممَّا بقي من اشجارهِ . وعمَّا قليل ستصبح كلّ قممهِ اجرد من الصلعة ولا يبقى من اوصافهِ الشهيرة التي اطنب فيها الكتاب الكريم غير الذكر المشكور والاثر دون العين . واوَّل ضرر ينجم عن ذلك انما يصيب الفلاحة والاملاك لأن الامطار تقلّ شيئاً فشيئاً وتيبس مجاري المياه وتنضب العيون وتقحل الاراضي فلا تأتي بزرع . وليس الداء بلا دواء لكنَّ الداء يتفاقم كلّ يوم فان لم يُعالَج اصبح عُضالاً وأدَّى الى موَات الاراضي

هذا ولستُ بجاهل انَّ غرس لبنان بالغابات عُنيَّة طالت نغمتها وتردَّدت ادوارها

حتى أَلِفها السامعون ولم يعودوا يعيرونها بالًا. لكنّي لا اتمالك انا ايضًا عن تكريرها ولو عرّضت نفسي للسخريّة والهزء لعلمي بأنَّ كلامي لا يُسمع لهُ صدًى. لكني اعرف من جهة أُخرى ان العقلاء في لبنان يرتأُون رأيي ويتمنَّون مثلي ان يُكسى لبنان بثوبهِ السندسي الذي لم يبقَ منهُ غير أسمالٍ يجرّدهُ عنها كل يوم ذوو الجهل والطيش. أفلا تنظر مثلًا تلك الغابة الغنّاء التي تزين وادي عين زحلتا يتنازعها منذ سنين قومٌ ينهبونها ويتلفونها وعمّا قليل يتركون الوادي خرابًا يبابًا. فترى انَّ لبنان ليس فقط لا يعود الى مفاخرِهِ النباتيّة القديمة لكنّهُ يمشي القهقرى فيا لله أليس في لبنان قوّة حاكمة تفطن لهذه الاضرار وتصون تلك الكنوز من ايدي المعتدين

بل يترتّب على حكومة الجبل أن تتقدّم الافراد وتبتدئ قبل الجميع بنصب الاشجار على جانبي الطُرق التي فتحتها. فانَّ في هذا العمل من المنافع ما لا يخفى على ناظر. وممّا يصلح لذلك شجر الازدرخت (الزنزلخت) واللبخ (الاكاسيا) والاوكاليبتس فهي لو نُصبت على طول الطرق التي قلنا انّها تبلغ نحو الف كيلومتر لزيّنت لبنان وافادتهُ الفوائد الجمّة. امّا نفقة العمل فزهيدة بالنسبة الى هذه الفوائد. فان حسبنا لكل خمسة امتار شجرةً بلغ عدد الشجر ٢٠٠,٠٠٠ لألف كيلومتر ولنفترض انَّ النصب الواحد مع كلفة غرسهِ وصوانهِ يساوي خمسة غروش فانَّ مجموع النفقات يبلغ ١٠,٠٠٠ ليرة

وان قيل انَّ هذه المبالغ لا يمكن الجبل ان يقوم بها اجبت ان الامر سهلٌ لو قُسم على خمس سنوات. كما انَّ الحكومة يمكنها ان تطلب من كل مديريّة ان تغرس الاشجار في قسم الطريق الواقع في جوارها وقد سبق جناب الامير قيصر بلّمع مدير القاطع وادرك منافع العمل وبهمّتهِ غُرست اشجار الاكاسيا في كلّ طرق بكفيا ولم تتجاوز نفقات العمل على البلديّة اكثر من اربعة قروش ونصف لكل شجرة

امّا المنافع التي يُحصل عليها بغرس هذه الاشجار فمنها (اوّلًا) انها تصون جانبي الطريق وتزيدهما ثباتًا وتمكينًا فضلًا عن زينتهما. (وثانيًا) انّها تظلّل الطريق وتخفّف وقدات الحرّ في الصيف وهو الفصل الذي يكثر فيهِ عدد السيّاح ولا خفاء ما ينال اللبنانيّون من الارباح بورودهم في مواطنهم. (وثالثًا) انَّ الاشجار اذا تأصّلت ونمت

اضحت موردًا جديدًا لثروة الجبل باوراقها واغصانها وخشبها وهذه الثروة تبتدئ منذ السنة الخامسة لنصبها ثم تزيد سنةً بعد سنة

ولا يكفي حكومة الجبل ان تقوم بهذا العمل بل ينبغي لها ايضاً ان تبعث همم الاهلين في الاقضية والمديريات ليصونوا الغابات الموجودة عندهم • ويغرسوا غيرها ويكفوا الاذى عنها بعد غرسها سواء كان من الماعز او من الحطّابين وان لزم الامر تضرب الضرائب على الرُعاة واصحاب المواشي الذين يتجاوزون اوامرها • ولولا ذلك لذهبت كلّ الاتعاب سدًى . فانظر مثلًا نواحي كسروان فانّ الصخور صارت غالبةً على معظم جهاتها • وانّما الذنب على قطعان الماعز التي تعيث في انصاب الاشجار وتأ كل براعيمها فتتلفها بزمن قليل

وناحية المتن تفضل على بقيّة نواحي الجبل بغاباتها ومغارس اشجارها وسعي عمّالها المشكور في صيانة الاحراج • لكنّ في هذه الناحية قطعةً كبيرة اكثرها سهل وهي القطعة الواقعة بين انطلياس ونهر الكلب والمزارع فان تربتها طيبة تتركّب من الرمل المختلط باجزاء حديديّة تصلح كلّ الصلاح لغرس الصنوبر البحريّ فانّ هناك بعض اشجار منها تدلّ على حُسن هذا المشروع لو عمّ تلك الجهة

وكذلك في جنوبيّ بيروت على مسافة عشرة كيلومترات طولًا في معدّل ٥٠٠ متر عرضاً اراضي متّسعة تبلغ ١٥٠٠ فدّان كلها رمل لا يستفاد منها شيء • فلو نُصبت فيها اغراس الصنوبر لاضحت كجنّات غنّاء تزيد بها المدينة حسناً وبهاء • ولنا مثال حديث يؤيّد قولنا في ذلك . فانهُ كان في فرنسة في مقاطعة اللّند (Landes) سهول يغلب عليها الرمل وكلها اقفار لا تُسكن وكانت مساحة تلك الناحية تُربي على ٣٠,٠٠٠ فدّان فابتاعها احد التجار من الدولة ليستثمرها ويزرعها . فغرس فيها الصنوبر البحري فما لبث أن نمت الاشجار وبسقت اغصانها حتى صار المكان بقعة نضرة افاد منها صاحبها الاموال الجزيلة وجعلها عامرةً بعد ان كانت غامرة

وان سألت ما هي الاشجار التي تصلح لتربة لبنان اكثر من سواها فهاءنذا اعدّ بعضها لفائدة العموم • ١ً الطرفاء (tamaris) فانّها تصلح لكلّ ارض يغلب عليها الرمل او تكون خفيفة التربة . ومثلها الكازوارينا (casuarina) . ومن اصلح الاشجار واوفقها لبلادنا مع كثرة جدواها ونفعها لتنظيف الهواء من الجراثيم المَرَضيّة لشجار

الاوكاليبتس بكل انواعهِ وموطن الاوكاليبتس بضروبهِ بلاد اوستراليا وهو ينمو بسرعةٍ غريبة . ومنهُ صنفٌ غايةٌ في الصلاح للاراضي الرملية يُدعى اوكاليبتوس بيلَيَّانا (eucalyptus Baileyana)

ومنها الصنوبر البحريّ او الراتينجيّ (pinus picea) الذي يحدق ببعض اطراف بيروت فيحوّلها الى منتزهات رائقة

ومنها الروبينيا (pseudo-acacia) وهي شجرة من جنس الطرفاء او الأثل مشوكة تسرع بنموها وتزدان بخضرة يأنس بها النظر

امّا الازدرخت او الزنزلخت فهو اشهر من ان يحتاج الى ذكر (التتمة لعدد آخر)

الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

٢ الآداب العربيَّة في اوربَّة في بدء القرن التاسع عشر

هلمَّ بنا نوجّه الآن الانظار الى احوال الآداب العربيَّة بين الاوربيين في مفتتح القرن التاسع عشر ليظهر للقرَّاء كيف تمَّت بعد ذلك تلك النهضة العجيبة التي جعلت الدروس العربيَّة في مقام ممتاز كما نراها اليوم في حواضر اوربَّة واميركة

ليس درس اللغات الشرقيَّة عموماً والعربيَّة خصوصاً امرًا مستحدثًا بين علماء اوربَّة كما يزعم البعض بل ابتدأت الافكار تتوجَّه الى احراز معانيها والتقاط لآليها منذ الفتوحات الاسلامية التي قرَّبت امم الشرق من تخوم البلاد الغربيَّة ولو تتبَّعنا الآثار المثبتة ببيان هذه القضيَّة لتعدَّدت لدينا الشواهد لاسيَّما في جهات الاندلس وبعض جهات الروم . لكنَّ تلك الحركة زادت قوَّةً وانتشارًا في القرن الثاني عشر لما جرى في ذلك العهد من الامور الجليلة والاحداث الخطيرة التي كادت تمزج طرفي الشرق والغرب مزج الماء بالراح

والكنيسة الكاثوليكيَّة كانت اعظم ساعية في ادراك هذه الغاية فممَّن اشتهروا اذ ذاك في الدروس الشرقيَّة واعتنوا بنقل الآثار العربيَّة الى اللاتينيَّة او بنوا ابحاثهم على احوال الشرقيين رئيس دير كلوني بطرس المكرَّم (١٠٩٢–١١٥٦م) وكان رحل الى

الاندلس ورقب شؤون العرب فيها فأعجب بآدابهم فلمّا عاد الى ديره عُني بانتقاد كتبهم. وفي عهده عُرف جيرَرد دي كريمونا (١١١٤—١١٨٧) وكان مولعًا بنقل تآليف العرب في فنون الحكمة وكان أتقن درس العربية فترجم الى اللاتينيَّة نحو ستين مصنَّفًا جليلًا لمشاهير الكتبة كالرازي وابن سينا في الرياضيَّات والهيئة والطبّ طُبع منها قسمٌ صالح وفُقد منها الكثير

ولمّا أُنشئت في ذلك القرن رهبانيّتا القدّيسين دومنيك وفرنسيس الاسيزي صرف منهما عددٌ يُذكَر عنايتهم الى درس العلوم الشرقيَّة. فانَّ الدومنيكي النابغة البرتوس الكبير (١١٩٣—١٢٨٠) لمَّا كان يفسّر كتب الفيلسوف ارسطاطاليس في كليَّة باريس كان يستند في شروحهِ الى ترجمة منقولة عن العربيَّة ويستعين في تحصيل معانيها بما كتبهُ في ذلك الفارابي وابن سينا والغزّالي. وجاراهُ في حبّهِ لآثار الشرق احد اخوته في الرهبانيَّة الدومنيكيَّة الاسباني ريمند لول (R. Lull) (١٢٣٥—١٣١٥) وكان من اكبر انصار اللغات الساميَّة في كليَّة اوربَّة. واهتمَّ رؤساء الدومنيكان منذ السنة ١٢٥٥ بانشاء مدرسة منظَّمة يعلّمون فيها العبرانيَّة والعربية والسريانيَّة في باريس وبلاد الكتّلان امَّا الرهبان الفرنسيسيُّون فلم يكونوا اقلَّ غيرةً في تخصيص بعض طلبتهم بدرس العربيَّة. اشتهر بينهم ميشال سكوت (M. Scot) الذي انكبَّ في طليطلة على اتقان اللغة العربيَّة سنة ١٢١٧ ونقل عددًا وافرًا من تآليفها. واشهرُ منهُ الراهب الانكليزي روجار باكون (R. Bacon) (١٢١٤—١٢٩٢) فريد عصرهِ ونسيج وحدهِ في العلوم الفلسفيَّة والطبيعيَّة فانهُ سعى ما امكنهُ بنشر الدروس الشرقيَّة وعلى الاخصّ العربيَّة

امَّا الاحبار الرومانيون فسبقوا كلَّ ملوك اوربَّة في تنشيط درس اللغات الساميَّة التي منها العربيَّة. وممَّا يُذكر فيشكر انَّ البابا هونوريوس الرابع كان تقدَّم بفتح مدرسة للغة العربيَّة في باريس في العشر الاوَّل من القرن الرابع عشر. ولمَّا عُقد في فينة المجمع المسكونيّ سنة ١٣١١ كان احد قوانين الآباء ان تُنشأ مدارس للغات العبرانيَّة والعربيَّة والكلدانيَّة في رومية على نفقة الحبر الاعظم وفي باريس على نفقة ملك فرنسة وفي بولونية واكسفورد وسلمنكة على حساب الرهبان والاكليروس. وممَّا يدلُّ على انَّ هذه اللغات كانت تُعلَّم في كليَّة باريس براءةٌ للبابا يوحنَّا الثاني والعشرين تاريخها سنة ١٣٢٥ يحثّ فيها على قاصدهِ هناك بان يراقب تدريس العربيَّة

ولمَّا اكتُشف فنّ الطباعة في اواسط القرن الخامس عشر كان كبير الاحبار يوليوس الثاني اوَّل من سبق الى طبع كتاب عربيّ (اطلب المشرق ٣: ٨٠) وولِيَهُ اسقف نابيو من اعمال كورسكا اغوسطينوس جوستنياني الذي طبع كتاب الزبور في اربع لغات منها العربيَّة سنة ١٥١٦ . وفي النصف الثاني من القرن السادس عشر فتحت الرهبانيَّة اليسوعيَّة مدرسة للعبرانية وللعربيَّة في رومية علَّم فيها الاب حنَّا اليانو الشهير وانشأ مطبعةً طبع فيها بعض الكتب الدينيَّة كان نقلها الى العربية منها التعليم المسيحي واعمال المجمع التريدنتيني . ثمَّ زاد اهتمام الكرسي الرسولي بتعليم العربيَّة والعبرانيَّة والسريانية لمَّا أُنشئت المدرسة المارونيَّة ونقل المرسلون الى مكتبة الفاتيكان عددًا لا يُحصى من كنوز الشرق الادبيَّة بينها المئون من تآليف العرب اقتنوها بايعاز الباباوات كما أشرنا الى ذلك (المشرق ١٠: ٢٥) . ثمَّ اتَّسعت تلك النهضة في كلّ اقطار اوربَّة فتوفَّر عدد الدارسين للُّغات الشرقيَّة وحفلت المكاتب بآثار العرب والسريان لاسيما خزائن كتب باريس ومجريط وليدن واكسفرد ولندن ونُشرت تآليف عربيَّة جليلة لأعظم أدباء العرب واشهر كتبة الشرق

ولم يكتفِ المرسلون بذلك بل انصبُّوا على دراسة العربيَّة انصبابًا بلَّغ بهم الى أن أتقنوا اصولها وألَّفوا فيها التآليف المتعدّدة منها دينيَّة ومنها ادبيَّة ونقلوا اليها عددًا دثرًا من طُرف المصنَّفات الاوربيَّة . وهو بحثٌ نستوفيهِ يومًا ان شاء الله

لكنَّ هذه الحركة مع سعة نطاقها لم تتجاوز حدودًا معلومة بل خمدت في آخر القرن الثامن عشر بعض الخمود لما طرأ على انحاء اوربَّة من الدواهي بنشوب الحروب واستشراء الفساد وكثير من المدارس الشرقيَّة أُقفلت لسوء احوال الزمان

وما عتَّمت فرنسة ان ادركت حاجتها الى علماء يحسنون لغات الشرق وخصوصًا اللغات الحيَّة وفي مقدَّمتها العربيَّة فانشأ اربابُ امرها في باريس في ٢٩ نيسان من السنة ١٧٩٥ مدرسةً لتعليم اللغات الشرقيَّة الحيَّة اعني العربيَّة والفارسيَّة والتركيَّة وهي المدرسة التي اضحت مثالًا لما أُنشئ بعدئذٍ على هيئتها من المدارس الشرقيَّة العمليَّة في عواصم شتَّى من الممالك الاوربيَّة . وتلك المدرسة لم تزل ترتقي في معارج التقدُّم الى يومنا هذا خرج منها عددٌ لا يُحصى من العلماء المستشرقين من فرنسويين والمان وايطاليين وسويسريين وغيرهم نذكر فيما بعد لمعةً من اخبارهم . وقد أُقيمت للمدرسة المذكورة

اعياد شائقة قبل ١٢ سنة بنسبة يوبيلها المئوي وطُبعت بعدئذٍ المطبوعات المفيدة لتسطير تاريخها مع عدَّة آثار من قلم اساتذتها وتلاميذها . وممَّا اضافتهُ هذه المدرسة الى تعليمها لغات الشرق الاقصى اي الصينيَّة واليابانيَّة والأنَّامية . وكذلك ادخلت في جملة دروسها الارمنيَّة والهندستانيَّة وفيها يدرس الذين يترشَّحون للمناصب القنصليَّة في الشرق

وكان اعظم السُّعاة في فتح هذه المدرسة رجلان هُمامان احدهما يُعرف بكبير المستشرقين وامامهم البارون سلوستر دي ساسي الذي سنعود الى ذكرهِ الطيّب قريباً والآخر لويس لنغلاي (L. M. Langlès) (١٧٦٣—١٨٢٤) وكان من اساتذة اللغات الهنديَّة ألَّف فيها التآليف المفيدة التي نُشرت بالطبع ولهُ رحلةٌ الى بلاد الشام وفلسطين ومصر طُبعت سنة ١٧٩٦

وممَّا ساعد على نهضة الآداب الشرقيَّة في اواخر القرن التاسع عشر بعد هبوطها الجمعيَّاتُ الاسيويَّة كان الفضل في تشكيل اوَّل جمعية منها في باتافيا من اعمال الهند الهولنديَّة سنة ١٧٧٨ لكنَّها كانت تقتصر على ما يختصّ بالمستعمرات الهولنديَّة . ثمَّ انشأ احد الانكليز وهو سير وليم جونس (١٧٤٣—١٧٩٥) جمعيَّة اسيويَّة عموميَّة في كلكوتة سنة ١٧٨٤ فنجحت نجاحًا عظيمًا . وكان منشئها من افاضل المستشرقين لهُ عدَّة تآليف في فنون العلوم الشرقيَّة من جملتها شرح المعلَّقات في الانكليزيَّة . وعلى مثال هذه الجمعيَّة عُقدت محافل اسيويَّة أُخرى في الهند لاسيما محفل بنغالي سنة ١٧٨٨ . وهذه النوادي العلميَّة لم تبلغ ما بلغتهُ محافل القرن التاسع عشر الوارد ذكرها لكنَّها افادت بما نشرتهُ من المنشورات الادبية والصناعيَّة والتاريخيَّة والعلميَّة في مجلَّات كانت تظهر في اوقات معلومة والبعض منها لم يزل طبعهُ جاريًا حتَّى الآن

امَّا المستشرقون الذين نالوا لهم بعض الشهرة في خاتمة القرن الثامن عشر فكانوا من الافرنسيين يوسف دي غيني (J. de Guignes) (١٧٢١—١٨٠٠) مدرّس اللغة السريانيَّة في مكتب باريس العلمي ومؤلف تاريخ واسع للتتر والمغول والترك في خمسة مجلَّدات ضخمة . ثمَّ انكتيل دوبرون (Anquetil-Duperron) (١٧٣١—١٨٠٥) درس وهو شاب اللغات الشرقيَّة ثمَّ ساح في اطراف الشرق وجمع المخطوطات الهنديَّة الجليلة ونشر تآليف عديدة في اخبار الهند وآثار الهنود والفرس والعرب وهو اوَّل من

نقل كتاب زرادشت المعروف بزند أوستا الى الافرنسيَّة وبعض كتب البدَ (Védas) وله مقالات عديدة في مجلة العلماء · ومنهم المستشرق هربان (A. Herbin) (١٧٨٣—١٨٠٦) كتب في اصول اللغة العربيَّة العامية وألف معجمَين عربي فرنسوي وفرنسوي عربي وكتب في الموسيقى عند قدماء العرب وفي آداب الفرس

وكان قبل ذلك بعشر سنوات توفي مستشرق كبير من كهنة فرنسة الخوري جان جاك برتلمي (J. J. Barthélemy) (١٧١٦—١٧٩٥) اشتغل في آثار الفينيقيين والتدمريين ولهُ مقالات لا تُحصى في كلّ ضروب المعارف · وهو الذي كتب « رحلة اناكرسيس » الشهيرة ضمّنها اخبار اليونان القدماء وآثارهم · وقد حذا حذوه المرحوم جميل مدوّر في كتابهِ الحضارة

وممَّا زاد الفرنسويين ترقيًا في الآداب الشرقية ان نابوليون لما قصد مصر سنة ١٧٩٨ اخذ في صحبتهِ بعضًا من العلماء المعدودين الذين انتهزوا الفرصة لتعلُّم العربية بين المصريين · وكان فئة السوريين اجتمعوا بهم بصفة تراجمة منهم ميخائيل صبَّاغ ونيقولا الترك وغيرهما · فاستعان اولئك العلماء بهم لدرس العربيَّة ولمَّا عادوا الى فرنسة نشروا تلك اللغة بين مواطنيهم

وكان ايضًا في اواخر القرن الثامن عشر بعض العلماء من الفرنسويين الذين كانوا انقطعوا الى درس العربيّة وألَّفوا فيها التآليف منهم في المانية جان جاك رَيسكَ (J. J. Reiske) (١٧١٦—١٧٧٤) نشر عددًا كبيرًا من كتب العرب ونقلها الى اللاتينيَّة وعلّق عليها التعاليق كمقالات الحريري وتاريخ ابي الفداء ومعلّقة طرفة · ومنهم جان داود ميكائيليس (J. D. Michaelis) (١٧١٧ — ١٧٩١) علَّم اللغات الساميَّة في غوطا وصنَّف التصانيف المفيدة في العبرانيَّة والسريانية والعربية منها كتب في اصول هذه اللغات وآدابها · واشتهر تيكسن (O. G. Tychsen) (١٧٣٤—١٨١٥) لهُ تآليف شرقية من جملتها تأليف واسع في النقود الاسلاميَّة

واشتهر غير الالمان السويسري بوركهرت (J. L. Burckhard) (١٧٨١—١٨١٧) الذي طاف في بلاد النوبة وبادية الشام وجهات الحجاز وعُرف بالشيخ ابراهيم ولهُ تآليف جليلة في وصف رحلاتهِ · ومن جملة كتبهِ تأليف في الامثال العربية وتوفي في القاهرة

(ستأتي البقية)

مطبوعات شرقية جديدة

ابدع الاساليب في انشاء الرسائل والمكاتيب

تأليف مكرمتلو عبد الباسط افندي الانسي

طبع بمطبعة المعارف في بيروت سنة ١٣٢٤ (ص ٦٠٨)

قدّر ارباب المدارس هذا الكتاب قدرهُ فأقبلوا عليهِ اقبالًا عظيمًا حتى نفد طبعهُ بعد سنين قليلة (اطلب المشرق ٤ :٩٠٧) فانهض ذلك همّة صاحبهِ الفاضل ليعيد طبعهُ بعد تحسينهِ وتكملة فوائدهِ. وقد اضاف اليهِ زيادات مهمّة كبعض رسائل جديدة وصدور انيقة وشروح دقيقة حتى بلغ مجموع هذه المكاتبات نيِّفًا و ٥٠٠ كتاب في كلّ موادّ التحارير كلها بانشاء متأنق مسجَّع. ومن الزيادات المفيدة باب في اصول مسك الدفاتر يحتوي خلاصة هذا الفنّ جعلهُ المؤلف كمسك ختامهِ. فنتمنّى لهذه الطبعة الجديدة رواجًا وانتشارًا كالطبعة الاولى ونحضّ الادباء على اقتنائها.

Studie zur Syrischen Kirchenlitteratur der Damascene von **Eduard Sachau.** Mit zwei Tafeln, 27 SS.

بحث في الآداب الكنسيَّة السريانيَّة في نواحي دمشق

لم تشع اللغة السريانية بين الكلدان والسريان والموارنة فقط بل اتخذها الروم الملكيّون ايضًا لمناسكهم الدينية مدَّة قرون متعدّدة كما يشهد على ذلك عشرات بل مئون من التآليف الباقية الى يومنا من الكتب الطقسيَّة الملكيّة المكتوبة بالسريانيَّة بحرف اشبه بالحرف الاسطرنجيليّ. وقد اشرنا في المشرق غير مرَّة الى هذه المخطوطات الملكيَّة (٢ :٥٨٨ ;٣ :٢٧١ ;٤ :١١٢٧ ;٥ :١٠٤ و٩٥٧ ;٩ :٩٩٤ ,٩٩٥ ,١٠٤٧) ومّا اهدانا آخرًا احد كبار المستشرقين الدكتور ادورد ساخو الشهير نسخةً من مقالة اثبتها في مجلّة برلين العلميّة ضمّنها وصف عشرة كتب من المخطوطات الطقسية السريانية التي كان الروم الملكيّون يصلّون فيها ويقيمون الفرائض الدينية فبينها الميناون والاكطويخس والمعزّي والاورديّات وغير ذلك من كتب الرتب وقد وصف الدكتور ساخو هذه المصنّفات وصفًا حسنًا وانتقى منها نصوصًا لتعريفها وألحق بها رسمين بالتصوير الشمسي

يُعرف بهما الخطّ الملكي الذي يخالف الخطّ النسطوريّ والخطّ اليعقوبيّ ويشبه القلم الاسطرنجليّ . وتاريخ هذه المخطوطات القرن الخامس عشر والسادس عشر للمسيح وهي وُجدت في القريتين ودير عطيّة ومعلولا حيث وجدنا نحن ايضاً من شكلها ما وصفناه في رحلتنا الى بادية تدمر في اعداد السنة المنصرمة ل . ش

Aus den Bibliotheken von Kairo, Damascus und Konstantinopel (Arabische Handschriften geschichtlichen Inhalts.) von **Josef Horovitz.** *Berlin,* 1907, 68 SS.

مخطوطات تاريخيّة في القاهرة ودمشق والاستانة

جاءنا منذ خمسة اشهر احد علماء الالمان اسمهُ يوسف هوروفتس موفدًا من الامير الايطالي لاون كايتاني دي تيانو لينظر لهُ في المخطوطات التاريخيّة المصونة في خزائن كتب القاهرة ودمشق والاستانة . فكانت نتيجة سياحتهِ انهُ فحص ٥٨ تاريخًا من التواريخ التي لم تُنشر حتى الآن بالطبع ومن هذه التواريخ ما هو في عدّة مجلدات كتاريخ دمشق لابن عساكر . ثم دوَّن ملحوظاتهِ على كلّ تاريخ مع بيان محتويات النُسخ وزمن نسخها . الى غير ذلك من الافادات التي اعتادها الاوربيُّون في وصف المخطوطات القديمة وقد نشر كلّ هذه المعلومات في نبذة ظهرت في مجلّة مكتب اللغات الشرقية في برلين ثم طبعها على حدة . فنشكر جناب المؤلف الذي وصف ايضاً في تآليفهِ ثلاثة من مخطوطات مدرستنا الكليّة ل . ش

UBERSICHT DER SCHRIFTEN THEODOR NOELDEKE'S von **Ernst Kuhn,** Gieszen, A. Toepelmann, 1907, 48 SS.

نظر في تآليف الاستاذ العلّامة تاودور نلدكه

قلّما صنَّف احد من العلماء من التآليف الواسعة والمقالات المطوَّلة ما صنَّفهُ فريد عصرهِ المستشرق الشهير نلدكه استاذ اللغات الآراميَّة في ستراسبورغ الذي أُقيمت لهُ في السنة المنصرمة الاعياد اليوبيلية الشائقة (اطلب المشرق ٩ : ٤٨٠) . وكان كثير من اصحابهِ وتلامذتهِ قدَّموا لهُ اذ ذاك كلٌّ في فنهِ اثرًا علميًّا فجُمعت هذه الآثار في مجلَّدين ضخمين وكانت في صدر الكتاب ترجمة المعلّم العلّامة مع جدول تآليفهِ . وهذا الجدول يستغرق وحدهُ ٤٨ صفحةً فيهِ عناوين ٦٢٨ كتاباً او مقالةً يبلغ مجموعها نحو ١٠٠,٠٠٠ صفحة فلو قسمناها على عمر مصنّفها لبلغ كل سنةٍ ١٥٠٠ صفحة وكل يوم

اربع صفحات بنيف. فانظر رعاك الله ثمرة الاجتهاد . اما مواضيع هذه التآليف فتكاد تشمل كلَّ موادّ دائرة العلوم اللغويّة

ل. ش

شَذَرَاتٌ

مناجم الذهب هذا جدول ما استُخرج من مناجم الذهب في العالم كله في السنتين ١٩٠٥ و ١٩٠٦ على حساب الدولار والدولار خمسة فرنكات

	دولار ١٩٠٥	دولار ١٩٠٦	دولار فرق
اوستралية	٨٥,٤٧٠,٧٧٩	٨٣,٨٥١,٠٦١	− ٣,١١٩,٣١٨
الهند	١١,٩٣٤,٣٠٨	١٠,٦٥٥,٦٧٤	− ١,٢٦٨,٦٣٤
الكندا	١٤,٤٨٦,٨٣٣	١٢,٠٠٠,٠٠٠	− ٢,٤٣٦,٨٣٣
المكسيك	١٤,٥٢٦,٨٥٥	١٥,٤٣٠,٠٠٠	+ ٩٠٣,١٤٥
روسية	٢٢,١٩٧,١٥٥	٢١,٥٠٠,٠٠٠	− ٦٩٧,١٥٥
رودزية	٧,٢٠٣,٨٦٥	١٠,٢٠١,٣٢٧	+ ٢,٩٩٧,٤٦٢
الترانسفال	١٠١,٢٢٥,٥٥٨	١١٩,٦٠٥,٩٢٢	+ ١٨,٣٨٠,٣٦٤
الولايات المتحدة	٨٨,١٨٠,٧٠٠	٩٧,١٥٥,٢٠١	+ ٨,٩٧٤,٥٠١
بقية البلاد	٨٤,١٥١,٨٣٣	٢٥,٢٥٠,٠٠٠	+ ١,٠٩٨,١٨٧

فترى ان الترنسفال اغنى البلاد بمعادن الذهب وقد زاد مورده على سنة ١٩٠٥ لا اقل من ١٨,٠٠٠,٠٠٠

احصاء الممالك البريطانية نشر الكتاب الازرق الاحصاء الرسمي الذي اجرته بريطانية سنة ١٩٠١ في كلّ بلادها. ومستعمراتها فاذا هو يبلغ قريباً من ٤٠٠,٠٠٠,٠٠٠ نفس في مسافة لا تقلّ عن ٣٠,٨٤٢,٧٠٠ كيلومتر مربع . بزيادة ١٤١,٠٠٠,٠٠٠ على احصاء السنة ١٨٦١ . اما تقسيم هذا العدد على البلاد فكما يأتي: ٤١,٩٧٢,٠٠٠ في بريطانية العظمى ومستعمرات اوربة ثم ٣٠٠,٥٠٠,٠٠٠ في آسية. ثم ٤٣,٠٠٠,٠٠٠ في افريقية ثم ٨,٠٠٠,٠٠٠ في اميركة و ٥,٠٠٠,٠٠٠ في اوسترالية ؛ وان قابلت بين املاك بريطانية وبقية املاك الارض وجدت أنها تبلغ خُمس مساحة الكرة الارضية بنيف كما انّ عدد رعاياها ينيف على ربع البشر

هل تقدر الحيوانات أن تمدّ وتعقل اجاب صاحب الجامعة

الاميركية على هذا السؤال بالايجاب واتى لبيان قوله بامثال كهذه قال « اذا لم تكن للحيوانات معرفة العدّ فما ظنّك بالسنجاب الذي يعرف كم جوزة او بندقة او نحوها يخزن لاجل الشتاء. اذا لم تكن لتعقل فلماذا اذا كان الكلب الشجاع هاجمًا على رجل واحد يهرب متى تجمهر عليهِ كثيرون » ثمّ ضرب امثالًا أُخرى باردة كهذه تدلّ على ان كاتبها نسي عقلهُ ليدافع عن عقل الحيوان. ولو عقل لرأى انّ في غريزة الحيوان الطبيعية ومعرفتهِ الحسيّة ما هو كافٍ لتعليل كلّ هذه الأحداث وغيرها. اما مثل « الحصان العالم » الذي لستشهد بهِ فقد كذّبنا الخبر في وقتهِ (اطلب المشرق ٩ : ٢٨٥)

أسئلة وأجوبة

س سألنا احد كهنة الجليل ما قولكم بشابّ ماروني ترهّب في رهبانيّة لاتينيّة دون اذن مطرانهِ لجهله بانّ ذلك محتوم على المترهّبين ليكون نذورهُ ثابتة اذا نذر في تلك الرهبانيّة نذور المترهّبين دون اذن اسقفهم

ج اعلم انّ البابا بيوس التاسع قد امر رؤساء الرهبانيات كلها سنة ١٨٤٨ بألّا تقبل احدًا في جمعيّاتها دون « شهادة » من اسقفهِ. وليست هذه الشهادة « اذنًا » للترهّب وانّما هي فقط رسالة يشهد فيها الاسقف ان الطالب من رعاياهُ وانهُ ليس بمقيّد بموانع قانونيّة. امّا اذا دخل طالب في رهبانيّة دون هذا الاذن ولم يطلب الرؤساء تلك الشهادة فانهم مخطئون لكنّ نذور الطالب ثابتة لا يجوز حلّها البتّة. وهذا يقال عن الشرقيين الذين يدخلون في الرهبانيات اللاتينية بموجب براءة البابا لاون الثالث عشر للكنائس الشرقية فينبغي للرؤساء ان يطلبوا منهم شهادة اسقفهم والاسقف ملزوم بان يُعطي الشهادة المطلوبة لكنّهم ان ترهّبوا ونذروا فلا يجوز ان تُحلّ نذورهم لهذا السبب لأنّها ثابتة وان كان الرؤساء أخطأُوا لعدم طلبهم الشهادة الاسقفية

س وسأل حضرة الخوري باسيليوس عيسى من معلولا ما هو السنّ المطلوب لاعوبيًا لعمل المناولة الاولى وما هي الشروط اللازمة لذلك

ج ليس سنّ محدود لعمل المناولة الاولى ويكفي لذلك ان يكون الولد ادرك سنّ التمييز امّا الشروط اللازمة لذلك فأن يكون الولد في حالة النعمة عارفًا بشرف السرّ وما يحويهِ القربان الاقدس. والعادة الآن جارية بأن يتأهّب الاحداث للمناولة الاولى تأهبًا طويلًا لاسيّما بدرس التعليم المسيحيّ والرياضات التقويّة وذلك من باب اللياقة لا من باب الشروط الجوهريّة ل. ش